جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة ماستر

الميدان: العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية
الفرع : تاريخ
التخصص:تاريخ معاصر

رقم: .....

إعداد الطالب:
هشام حرابي

يوم: 28/06/2018

الحياة السياسية في الأندلس عصر ملوك الطوائف مملكة بني عباد نموذجا (414-484هـ/1017-1079م)

لجنة المناقشة:

مغنية غرداين	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيس
مسعود كربوع	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مقرر
سالم كربوعة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقش

السنة الجامعية : 2017 - 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أبي و أمي أطال الله في عمرهما.

إلى إخوتي و أخواتي.

إلى جميع زملائي و زميلاتي في الدفعة

و إلى كل من أحب أهدي عملي هذا.

شكر و تقدير

الحمد و الشكر أولا و آخرا لله عزّ وجل

الذي منّ عليّ بتوفيقه لإنجاز هذه الدراسة،

و الشكر الموصول لأستاذي المشرف "كربوع مسعود "

الذي كان معي من بداية العمل إلى غاية نهايته، متفضلا

عليّ بمعلوماته و نصائحه، فجزاه الله عنّي كل خير.

كما يسعدني أن أتقدم بوافر الامتنان لأساتذة

قسم التاريخ دون استثناء.

◈ ◈ ◈

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة المناقشة.

◈ ◈ ◈

مقدمة

مقدمـة :

شهدت بلاد الأندلس عدّة تطورات سياسية و التي كان لها الأثر الكبير على الحياة السياسية، و يتجلى ذلك في العهد الأخير من الخلافة الأموية و التي عرفت ضعفا كبيرا داخل و خارج الدولة. مما أدى إلى تفكك الوحدة السياسية للأندلس و ظهور قوى متناثرة و متنافسة فيما بينها عرفت بممالك الطوائف، فبلغ عددها أكثر من عشرين إمارة.

و هذا موضوع دراستنا و الذي يدور حول " الحياة السياسية في الأندلس عصر ملوك الطوائف – مملكة بني عباد في اشبيلية أنموذجا ".

أسباب اختيار الموضوع :

فكان سبب اختيارنا لهذا الموضوع، هو الرغبة في معرفة أهم المجريات التاريخية على تلك الفترة لملوك الطوائف المليئة بالأحداث الملهمة. و كذا محاولتنا للكشف عن الحقائق التاريخية للحياة السياسية بدراستنا لمملكة بني عباد كنموذج. و كان لزاما علينا وضع إشكالية رئيسية تتوافق مع صلب الموضوع و تتدرج تحتها أسئلة فرعية تخدم عناصر البحث.

الإشكالية الرئيسية :

– إلى أي مدى ساهمت سياسية بني عباد في قيام مملكة اشبيلية، و ما هي تأثيرات ذلك على التطورات السياسية التي عرفتها الأندلس عصر ملوك الطوائف ؟

الأسئلة الفرعية :

– ما هو أثر الفتنة البربرية على الخلافة الأموية ؟
– ما هي عوامل تفكك الوحدة السياسية للأندلس ؟
– ما هي أهم مميزات الحياة السياسية لملوك الطوائف ؟
– ما هو دور بني عباد في الصراع الداخلي لملوك الطوائف ؟

و اعتمدنا على المنهج التاريخي التحليلي و الوصفي في توظيف معلومات البحث و تحليل مجريات الأحداث التاريخية.

و للإجابة على هذه الأسئلة، اتبعنا خطة بحث تقوم على مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاث فصول و خاتمة.

الخطــة :

الفصل الأول : تحت عنوان " ظهور ممالك الطوائف في الأندلس " حيث تطرقنا فيه إلى طبقات المجتمع الأندلسي و أسباب قيام ممالك الطوائف، و التقسيم الإداري و السياسي ".

الفصل الثاني : تحت عنوان " اشبيلية و قيام مملكة بني العباد " فذكرنا فيه جغرافية هذه المملكة مع الحياة السياسية، و دورها في إضفاء الشرعية على حكمهم ".

الفصل الثالث : تحت عنوان " السياسة الداخلية و الخارجية لمملكة بني العباد و انعكاساتها " و الذي يحتوي على العلاقات الخارجية و النظام السياسي و الإداري إلى غاية نهاية حكم بني عباد ".

و لا بد من وجود نقائص و هفوات على البحث و التي تعكس الصعوبات التي واجهتنا خلال إنجازه، و التي تتمثل في صعوبة قراءة بعض المصادر و الذي من شأنه يصعّب عملية فهم و استخراج المعلومات منها، و كذا الاختلاف الكبير في آراء المؤرخين أحيانا حول حادثة معينة أو سنة حدوثها، و بالتالي لا يمكن الوصول إلى توحيد النظرة.

و اعتمدنا في جمع معلوماتنا على جملة من المصادر و المراجع التي تخدم الموضوع العام و الخاص به.
فمن جملة هذه المصادر و أهمها لدينا :
– كتاب بسام الشنتريني، بعنوان : " الذخيرة على محاسن أهل الجزيرة " ، حيث ذكر أن الأندلس عرفت تجانسا كبيرا بين العناصر البربرية و العربية، فصار الأندلسيون يسمونها بالأرض التي أذابت الفروقات الإنسانية والدينية.

– كتاب ابن عذارى المراكشي، بعنوان : " البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب " ، يذكر فيها جذور الفتنة البربرية التي عرفها الأندلسيون من أواخر حكم بني أمية إلى عبد الرحمان بن محمد بن أبي عامر لشؤون الدولة.

– و يذهب ابن حازم الأندلسي في " رسائل ابن حزم الأندلسي " إلى أن من نتائج الفتنة البربرية هي تعطيل النشاط الثقافي خاصة في قرطبة و التي لم تكن العاصمة السياسية للأندلس فحسب.

– و يرى عبد الواحد المراكشي في " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " أن الأحداث التاريخية في الأندلس أدت إلى انقسام الأندلس إلى دويلات عديدة تعرف في التاريخ الأندلسي بدول الطوائف.

– كما يرى المقري في " نفح الطيب "، الجزء الأول أن التوزيع الجغرافي للقبائل العربية قد انحصر في المناطق ذات الخيرات كالأراضي الخصبة و الأنهار و الغلات و مواطن الثراء.

– و يرى محمد عبد الله عنّان، في " دولة الإسلام في الأندلس " أن المجتمع الأندلسي كان يشكل طبقات اجتماعية و عصبيات، و كانت الخلافة تزيد من شدة التنافر فيما بينها.

– كما يرى السيد عبد العزيز سالم، في " تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس " أن الأزمة التي عرفتها عاصمة الخلافة الأموية هي إيذانا صريحا بظهور بوادر نهاية الحكم الأموي بالأندلس و ظهور عصر ملوك الطوائف.

الفصل التمهيدي

نهاية حكم بني أمية و بوادر قيام ممالك الطوائف

نهاية حكم بني أمية و بوادر قيام ممالك الطوائف.

لقد تميز الوضع السياسي بالعدوة الأندلسية في نهاية عصر الخلافة الأموية بنوع من الاضطراب السياسي، و الذي عُرفت بوادره بسبب الصراع حول السلطة من جهة، و الأوضاع الاجتماعية التي عرفتها الأندلس و انعكست على مجتمعه من جهة ثانية، و التي أرجعتها أغلب الدراسات إلى الصراع السياسي بين الإخوة الأشقاء حول السلطة، خاصة ما شهدته فترة حكم الخليفة المهدي[1]، من بداية اضطهاد البربر و ظهور بوادر التمييز العرقي و العصبي بين المسلمين في الأندلس، و هو ما نتج عنه بما يسمى بالفتنة البربرية سنة (399هـ-1031م)[2]، و التي أدّت إلى نهاية الحكم الأموي بالأندلس بشكل كامل سنة (422هـ/1031م)، و بذلك فقدت الأندلس وحدتها السياسية.[3]

أولا : الفتنة البربرية و سقوط الخلافة الأموية.

عرفت تاريخ الأندلس في إحدى أهم محطاته التاريخية فتنة سياسية كبيرة، أُطلق عليها اسم الفتنة البربرية نظرا للدور الذي لعبته العناصر البربرية في قيامها، و هي تعبّر عن ذلك الخلاف الذي وقع بين فئتين من المسلمين، البربر من جهة و الأندلسيون من جهة أخرى، و بخاصة أهل قرطبة، و التي أجمعت المصادر على أنّها بسبب الصراع حول منصب الخلافة، و ما عرفه حكم المهدي من اضطهاد للبربر من طرف الخليفة و أعوانه.

إنّ الأندلس عرفت تجانسا بين العناصر البربرية و العربية، فصاروا بذلك أندلسيين بالأرض التي أذابت الفروقات الجنسية و أنشأت بينهم المعاني الإنسانية و الدينية و الأخلاقية، و لكن من جهة أخرى نجد أنّ هذه العناصر لها انتماء آخر و هو انتماء العصبية و القبلية و العرقية، و بسبب ذلك عرف المجتمع الأندلسي عصبيات، كانت الخلافات تزيد من شدة التنافر بينها، كالصراعات بين العرب اليمنية و المضرية، و العرب

(1) هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي، ولد سنة (366هـ/977م)، خرج بسلطته عن المؤيد بالله الأموي بقرطبة سنة (399هـ/1010م)، و بايعه الناس، فتلقب بالمهدي بالله ملك قرطبة. ينظر: أبو عبد الله محمد الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تح: إدارة إحياء التراث، الدار المصرية، مصر، ط1، 1966، ص،ص 18،19.

(2) سميت بالفتنة البربرية أو الفتنة القرطبية و هي فتنة قام بها البربر ضد المهدي و أنصاره و انتهت بهزيمة القرطبيين سنة (400هـ/1011م) ينظر : ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح : إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، ط1، ج1، ص،ص 43،44.

(3) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثاني لدولة الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1994، ص 14.

و البربر و الصقالبة، و هو ما ساهم بدوره في ظهور مختلف أوجه الصراع على عهد ضعف حكم بني أمية بالأندلس، خاصة الفتنة البربرية منها.

حيث تعود جذور الفتنة البربرية التي عرفها الأندلس في أواخر حكم بني أمية، إلى تقلد عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر لشؤون الدولة بعد وفاة أخيه الظفر عبد الملك، يُعدّ إيذانا ببدء مرحلة سياسية جديدة في تاريخ الأندلس، لما عرفته فترة حكمه من سوء التدبير السياسي و سرعة التهور في معالجة الأمور، خاصة بعد تولية الخليفة هشام المغلوب على أمره و الإنفراد بولاية العهد من بعده[1]، مما فتح عليه بابا واسعا من الفتن و القلاقل انتهت بمصرعه على أيدي خصومه من بني أمية الثائرين على نفوذ العامريين في الدولة، و الذين تمكنوا من خلع هشام المؤيد، و تولية محمد بن هشام بن عبد الجبار الخلافة و تلقيبه بالمهدي سنة (399هـ-1009م).

و لكنّه لم يستقر بحكمه، فقد ثار عليه هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر بجموع البربر، و الجدير بالذكر أنّ البربر لعبوا دورا هاما في هذه الفتنة لارتباطهم بقيام حكم العامريين و مواجهة كل من يكن العداء للعامريين[2]، و هو ما يفسر موقف المهدي محمد بن هشام من البربر و ما سلكه معهم من مسالك الثأر و الإنتقام.[3]

لقد كان رد فعل البربر أمام استمرارية الانتهاكات بأن أعلنوا الثورة على المهدي و بايعوا بالخلافة أميرا أمويا منافسا له، و هو ابن عمه سليمان المستعين[4]، و بدأت بوادر الصراع بين الأندلسيين بزعامة المهدي و البربر و حلفائهم من الملتفين حول سليمان المستعين.[5]

انتهى هذا الصراع بين المهدي و البربر بمقتل المهدي في 08 ذي الحجة سنة (400هـ-1010م)[6]، و الذي أعقبته أحداثا هامة ساهمت أيضا في استمرار الفتنة البربرية، حيث تطورت الأحداث بعد ذلك ابتداء من فشل الصلح مع البربر و انقسام عدد كبير من أهل قرطبة بين مؤيد و معارض، وصولا إلى دخول المستعين

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 15.

(2) سعد عبد الله البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور : أحمد السيد دراج، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1985-1986، ص 37.

(3) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب، تح : ج.س كولان، دار الثقافة ، بيروت، ط3، 1983، ج3، ص،ص 80،81.

(4) هو سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر،و كنيته أبو أيوب، لقبه المستعين باللّه. ينظر: ابن عذارى، المصدر نفسه، ج3، ص 91.

(5) المصدر نفسه، ج3، ص 86.

(6) خميسي بولعراس : الحياة الاجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400هـ-479هـ/1009-1086م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف الأستاذ الدكتور: مسعود مزهودي، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2006-2007، ص 24.

لقرطبة و قتله لهشام المؤيد في 15 ذي القعدة من سنة (403هـ-18 ماي 1013م)، كل هذه الأحداث المتسارعة ساهمت في عدم وجود استقرار و أمن للخلافة و الحكم في قرطبة.[1]

و منه فإنّ هذه الصراعات التي عرفتها بلاد الأندلس على عهد الفتنة البربرية ساهمت بدورها في فتح الباب على مصرعيه للطامعين في السلطة، فهذا علي بن حمود[2]، و الذي ولّاه المستعين حكم مدينة سبتة يزحف على قرطبة و يعتقل سليمان، و يدخل المدينة في 22 محرم سنة (407هـ-01 جويلية 1016م)، حيث قام بالبحث عن هشام المؤيد فدلوه على قبره، فتأكد من موته بعد النبش[3]، و أظهر عليّ بن حمّود اللين و العدل بين سكان قرطبة، ثمّ انقلب عليهم و مال إلى مناصرة البربر على حساب القرطبيين، و ذلك بسبب ميلهم إلى الخليفة المرتضى الذي حكم شرق الأندلس، ليتجدد بذلك الصراع بين العصبيتين الأندلسية و البربرية.[4]

و لقد كان لموقف القرطبيين الساخط من حكم القاسم بن حمود دلالة واضحة على ما بلغته حالتهم و أوضاعهم السياسية من ضعف و انحطاط ترتب عليه كثير من الفتن و المآسي، و هو ما دفع بهم إلى مبايعة حكم بني أمية من جديد من خلال اختيار عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار فبايعوه بالخلافة و تلقب بالمستظهر سنة (414هـ-1314م)[5]، و يعتبر البعض أنّ هذه المبايعة و العودة من جديد لحكم بني أمية، و ما نتج عنه من انقسام في صفوف القرطبيين، ما يؤكد تصدع و انهيار في العلاقة بين السلطة و الرعية، و انعدام للثقة بين الطرفين، و كأنّ أحداث الفتنة قد أدّت إلى فتح الباب أمام فتن أخرى، انتهت في مجملها بذلك التصدع الذي عرفه حكم المسلمين بالأندلس.[6]

تعتبر هذه الفتنة البربرية أو القرطبية قد جسّدت التنافر بين المسلمين في الأندلس، و ساهمت في فتح الباب على مصرعيه للطامعين في السلطة، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه ذلك إلى إستعانة بعض المسلمين بالنصارى الإسبان ضد إخوانهم للوصول إلى الخلافة، و لا شكّ أنّ استعانة المسلمين بالنصارى ضدّ بعضهم البعض، تعتبر سابقة خطيرة، حيث أثّرت بشكل أساسي على مجريات الصراع في الأندلس، لأنّها

(1) خميسي بولعراس : المرجع نفسه، ص 25.

(2) هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود، عيّنه المستعين واليا على سبتة، و أعلن خلافته عند دخوله قرطبة (407هـ). ينظر: الشنتريني، المصدر السابق، مج1، ص،ص 37،38.

(3) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 26.

(4) فضيل بو الصوف : العلاقات السياسية بين الأندلس الاسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف (ق5هـ/11م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الأستاذ الدكتور : عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة قسنطينة، السنة الجامعية 2010-2011، ص 9.

(5) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 45.

(6) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 12.

أتاحت الفرصة لجيوش النصارى للتوغل في قلب بلاد المسلمين و الإطلاع عيانا على ضعفهم و تفرّق كلمتهم، فكان من نتائج ذلك سقوط هيبة المسلمين أمام النصارى.[1]

ثانيا : عوامل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس.

إذا كانت الفتنة البربرية– القرطبية– التي عرفتها عاصمة الخلافة الأموية، إيذانا صريحا بظهور بوادر نهاية الحكم الأموي بالأندلس و ظهور عصر ملوك الطوائف، فإنّ البحث في أسباب هذا السقوط و التراجع للأمويين بالأندلس، يدفع إلى أهمية تحديد العوامل و الأسباب التي أدّت إلى انهيار الخلافة الأموية و زوالها، و التي عرفت في مجملها تنوعا بين الأسباب السياسية و الاجتماعية و كذا الاقتصادية[2]، فمن المعروف أنّ المجتمع الأندلسي كان يتألف من عناصر مختلفة، عرب و بربر و صقالبة، و مولدون و يهود، و نصارى و غيرهم[3]، و لكنّ المصادر تشير إلى أنّ العنصر الغالب على مدينة قرطبة هم العرب، مع وجود عناصر أخرى مثل المولدون و البربر و لكن بدرجات متفاوتة و أقل من نسبة العرب، و هو ما ساهم في تسلط العرب على الحكم.[4]

و نضيف إضافة إلى ذلك إذا فإنّ جغرافية الأندلس و ما تعرفه من امتداد للسلاسل الجبلية من المشرق أو الشمال الشرقي إلى الغرب أو الجنوب الغربي، قد شكّل حواجزا و دروبا يصعب اجتيازها، جعلت من الأندلس بذلك أشبه بأقاليم متباعدة، و منفصلة على بعضها البعض[5]، ساهمت من خلال هذه الجغرافية في دفع أهلها و في فترات مختلفة من حكم الخلافة الأموية، لمحاولة الإنفصال و الثورات الداخلية، و هو ما ساهم بدوره في إضعاف الخلافة الأموية.

و من بين العوامل أيضا و التي ساهمت في تراجع حكم بني أمية بالأندلس، و سقوط الخلافة الأموية بشكل مباشر أو غير مباشر، مواقف خلفاء بني أمية من العنصر العربي، فقد كانت سياستهم منذ بداية دولتهم على يد عبد الرحمن الداخل هي إقصاء العنصر العربي، و محاولة كسب ود العناصر الأخرى المشكلة للمجتمع الأندلسي مثل الصقالبة و الموالي و توليتهم المناصب و القيادات الهامة في الدولة[6]، و هو ما ساهم في تذمر العرب من هذه السياسة الإقصائية من جهة، و تسلط الصقالبة و الموالي و محاولتهم استغلال نفوذهم،

(1) فضيل بو الصوف : المرجع نفسه، ص 10.

(2) سامية مصطفى سعد : العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، ط 1، 2000، ص 51.

(3) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص 364.

(4) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 50.

(5) سامية مصطفى سعد : المرجع السابق، ص 52.

(6) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص 364.

و هو ما يعتبره "عبد الله عنان" سببا في تلك الفتن و الاضطرابات الداخلية التي عرفتها الخلافة الأموية و ساهمت في سقوطها.[1]

و تظهر انعكاسات ذلك منذ أن تولّى عبد الرحمن الناصر الحكم، و عمل أيضا على تنصيب الصقالبة و الموالي في أعلى المناصب، و هو ما انعكس في هزيمة جيوشه في معركة الخندق (326هـ-938م)، و كان السبب في ذلك إلى تخاذل الجند العربي الذي فعل ذلك انتقاما من الخليفة لتقريبه الصقالبة و فتيانه عليهم[2]، و لم يتوقف الأمر عند ذلك فبحكم المنصور ابن أبي عامر استمر الأمويون في اقصاء العرب و اعتدى بدرجة أولى على البربر، و استدعى قبائلهم و جندهم في دولته و أحلهم محل العرب و الصقالبة في أعلى المراتب و المناصب[3]، و بذلك فلقد عرف الحكم في الأندلس تفضيل فئات على أخرى تنعكس بدورها في تذمر الفئة المقصية و إثارة الفتن و المشاكل.

و من بين تلك عوامل انهيار الخلافة الأموية بالأندلس سياسة بعض خلفائهم من عنف و شدة اتجاه رعاياهم، فإنّ هذا الأمر ساهم في نشوب الفتن و القلاقل من طرف الرعية اتجاه السلطة، و هو ما يظهر من خلال سلوك عبد الرحمن الداخل ضد العنصر اليمني، و الذي دفع بزعيمهم " أبا الصباح بن يحي اليحصبي " إلى الثورة على الدولة الأموية[4]، و هو ما عرفته الأندلس في فترات مختلفة من تاريخ بني أمية، و التي ساهمت بدورها في تراجع و سقوط الخلافة الأموية.

و من الأسباب التي يمكن إدراجها ضمن عوامل و أسباب سقوط الخلافة الأموية بالأندلس، هو الإنتشار الذي عرفته سلطة الأمويين بالمنطقة، فخضوع كثير من المدن الأندلسية الكبرى لسيادة قرطبة لم يعد ممكنا بعد أن تطورت الأوضاع الاجتماعية و نشأ فيها كثير من الفئات الأرستقراطية المحلية التي تعمقت جذورها في الوسط الاجتماعي، و التي نمت بذلك من خلالها هذه المدن و التي اتسعت بدورها و لم يعد باستطاعة الأمويين السيطرة عليها، فكان طبيعيا أن تطالب هذه المدن و مكونها الاجتماعي على إدارة شؤونها بنفسها[5]، و هو ما ساهم بدوره في ظهور محاولات الإنفصال عن الخلافة و إضعافها.

و من بين الأسباب التي ساهمت في تراجع و سقوط حكم بني أمية بالأندلس، هو قيام خلافة بني أمية بالأندلس في ظل حكم خلافة بني العباس، بالرغم من كون بني أمية و بني العباس يعودان في الأصل إلى قريش و المسلمون يعلمون أنّ الخلافة في قريش، و لكنّ قيام خلافة بني أمية في الأندلس بمفردها في ظل خلافة إسلامية مركزية معادية لها من جهة، و انفصال بلاد المغرب و ظهور دويلات مستقلة، يكون قد ساهم

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 30.
(2) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 51.
(3) سعد عبد الله البشري : المرجع نفسه، ص 51.
(4) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 12.
(5) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 52.

بدوره في ضعف و تراجع هيبة و قوة بني أمية في الأندلس، و لم يتوقف الأمر عند ذلك، فظهور الصراع بين الفاطميين في بلاد المغرب و الأمويين في الأندلس ساهم بدوره في خلق و دعم فئات معارضة لحكم بني أمية في الأندلس، و التي ساهمت بدورها في إضعافهم.[1]

و منه و بالرغم من المحاولات المتكررة التي قام به القرطبيون لدعم حكم بني أمية في قرطبة و الأندلس عموما، إلّا أنّ حكم بني أمية في الأندلس كان يعرف تراجعا كبيرا، حيث لم يستطع خلفاء بني أمية الحد من ذلك، فقد كانوا ضعافا غير محنكين و لم تتوفر فيهم أصول القيادة و شروطها، و هو ما زاد النار اشتعالا و عمّق الصراع في الأندلس[2]، لينتهي ذلك بظهور الفتن و الصراع الداخلي ضد حكم بني أمية، و يعجل بنهاية خلافتهم في المنطقة، و هو الأمر الذي ارتبطت في تحقيقه مجموعة من العوامل كما أشرنا لذلك.

ثالثا : أثر الفتنة على التطورات السياسية و الحضارية بالأندلس.

لقد كان لطبيعة المجتمع الأندلسي، و الذي تميّز بتعدد أعراقه و قومياته من عرب و بربر و صقالبة و مولّدين و أسبان، قد ساهم في عدم تجانسه و ظهور بوادر الفرقة و الاختلاف كلّما سمحت الفرصة بذلك، فقد استطاع المنصور ابن أبي عامر (366-392هـ/976-1002م) بدهائه و قوته احتواء معظم هذه العناصر، و ضرب بعضها ببعض، و استكثر في جيوشه من البربر للحدّ من نفوذ العرب، الذين أصبحوا طبقة ارستقراطية فقدت مزاياها الحربية[3]، و زرع بسياسته هذه بذور الخلاف بين هذه العناصر المتنافسة، و الذي سرعان ما تحوّل إلى فتنة أدّت إلى اندلاع حرب أهلية في الأندلس مهدّت للانقسام و ظهور عهد جديد ببلاد الأندلس.

إنّ ظهور الفتن و الصراع الداخلي بين المسلمين هي أهم المظاهر التي ميزت التاريخ السياسي للأندلس في نهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، و التي بدأت منذ ظهور تسلط حكم بني أمية، و ظهور التعصب و التمييز بين العرب و البربر، و التي ظهرت بوادرها منذ سقوط الدولة العامرية[4]، مخلّفة بذلك تركة ثقيلة من المشاكل و الفوضى و الأزمات المتلاحقة، و التي عرفت بالأندلس بالفتنة البربرية.

---

(1) جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ص 496.

(2) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 53.

(3) فيلالي عبد العزيز : العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس و دول المغرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1983، ص 227.

(4) و هي الدولة التي أسسها المنصور بن أبي عامر الحاجب القوي للخليفة الطفل هشام المؤيد، الذي لم يتعد سن العاشرة، فاستولى على مقاليد الحكم، و بعد وفاة المنصور (399هـ/1009م)، خلفه ابنه عبد الملك المظفر و جاء بعده أخوه عبد الرحمن (399هـ/1009م) و الذي طمع في الخلافة نفسها، حتّى ثار عليه الأمويون و قتلوه في السنة نفسها، و بذلك انتهت هيمنة العامريين على السلطة. أنظر :المقري " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب "،تح : إحسان عباس، دار صادر، بيروت،[د،ط]، 1968، مج1، ص 396-407.

ففي تلك الفترة القصيرة و التي لا تتجاوز نصف القرن، تقلبت الأندلس بين مرحلتين متباينتين كل التباين، ففي منتصف القرن الرابع الهجري و حتّى أواخر هذا القرن، بلغت ذروة القوة و التماسك في ظل حكم بني أمية في المنطقة، ثمّ تحولت إلى منعرج خطير انعكس في ضعف و تراجع الأندلس، بفعل الاضطرابات و الفتن خاصة الفتنة البربرية منها.[1]

لقد شهدت بلاد الأندلس نهاية الخلافة الأموية ظروفا صعبة تمثلت في الفتنة البربرية، حيث أدّت هذه الفتنة إلى نتائج سلبية، و هي فقدان الأندلس لوحدتها السياسية، و انقسام البلاد إلى دويلات مستقلة و متنازعة (399-422هـ/1008-1031م)، كما أُطلق على هذه الدويلات اسم " دويلات الطوائف "، كان يعرف زعماؤها بـ : " ملوك الطوائف "، كما استقل كل أمير بناحيته، و أعلن نفسه ملكا عليها، و تحولت بلاد الأندلس من وحدتها السياسية على عهد الخلافة الأموية، إلى الانقسام و التشتت السياسي على عهد ملوك الطوائف.
حيث قسمت الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات، متفاوتة من حيث القوة و الضعف، و الصغر و الكبر، كما كانت هذه الدويلات في حروب دائمة أدّت إلى تغيرات في الحدود الجغرافية لها، و هو ما ساهم في استمرار الصراع بين هذه الممالك و لفترات طويلة من الزمن.

لقد أصبحت الأندلس بسبب هذه الفتنة و ما أحيط بها، مثال لذلك الصرخ الشامخ الذي انهارت أسسه، و تصدع بنيانه، و تناثرت أشلاؤها، و تعددت الرياسات في أنحائها، لا تربطها رابطة، و لا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة، و طفت المطامع الشخصية على السطح، و انعكست في ظهور حروب أهلية بينها. هذه الدول و الممالك الصغيرة، عرفت التخاصم بينها، حيث عرف رؤساؤها، بين وزير سابق و قائد من ذوي النفوذ و حاكم لإحدى المدن و شيخ للقضاء و زعيم من ذوي المال و الحسب و قد ظهروا جميعا أثناء تراجع هيبة و سلطة بني أمية في الأندلس.[2]

كانت هذه الفتنة داخلية بين مسلمي الأندلس، و لم تتدخل فيها أطراف خارجية غير مسلمة، و لكنها كانت تنذر و تلوح في الأفق بإمكانية انتشار هذه الفتنة و تدخل أطراف خارجية فيها، و هو ما تمثل فعلا في تدخل نصارى الشمال الإسباني في شؤون المسلمين بعدما بدأ كل طرف يستعين على خصمه بهؤلاء النصارى،[3] فمهّدوا لهم الطريق لكي يحققوا أطماعهم و أهدافهم، و أن يستغلوا مواطن الضعف عند المسلمين، و هو ما يبيّن تأثير هذه الفتنة و غيرها على تاريخ المسلمين في الأندلس.

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 11.
(2) محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 14.
(3) عبد الحليم رجب محمد : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص 264.

و تشير بعض المصادر إلى أنّ " سليمان المستعين " كان هو أول من بادر إلى الإستعانة بالنصارى الإسبان لمحاربة الأندلسيين، للوصول إلى عاصمة الخلافة، فتمّ الاتصال بالكونت " شانجة بن غرسية بن فردیناند " (385-407هـ/995-1017م)[1]، الذي كان يعدّ أقوى أمراء الشمال الإسباني آنذاك، و تمكّن البربر و النصارى من دخول قرطبة، و وجد بذلك النصارى الفرصة مواتية للانتقام من المسلمين.[2]

لا شكّ أنّ استعانة المسلمين بالنصارى ضدّ بعضهم البعض، كان سابقة خطيرة، أثرّت بشكل أساسي على مجريات تواجد و قوة المسلمين في الأندلس، حيث أثرّت بشكل أساسي على مجريات الصراع في الأندلس، لأنّها أتاحت الفرصة لجيوش النصارى للتوغل في قلب بلاد المسلمين و الاطلاع على ضعفهم و تفرق كلمتهم، فكان من النتائج المباشرة لذلك سقوط هيبة المسلمين في أعين النصارى، و تفرق وحدتهم السياسية و انقسامهم إلى طوائف مختلفة[3]، و هو ما عبّر عنه ابن عذارى المراكشي " كثرت الفتنة و تمادت و انتزى كل أحد في موضعه و استبدّ رؤساء الأندلس و ثوارها ".[4]

و قد أتاح هذا الانقسام و التجزء الذي أصاب الأندلس جراء الفتنة القرطبية الفرصة لنصارى الشمال الإسباني، ليفرضوا إرادتهم على المسلمين، و ينطلقوا في إحياء هدفهم القديم، و هو استرداد الأندلس من أيدي المسلمين، و هو ما عرف في تاريخ الأندلس بحروب الاسترداد.

و لاشكّ أنّ للفتنة البربرية التي عرفتها بلاد الأندلس و كانت لها تأثيرات سياسية كبيرة، كانت لها إنعكاسات على التطورات الحضارية أيضا بالأندلس، فقد كان النسيج الاجتماعي للأندلس و بنياته قبل الفتنة البربرية قد أعطى دفعا قويا للحركة الثقافية و الاجتماعية في عصر الخلافة، و مرد ذلك أساسا إلى عنصر الاستقرار الذي أحدث نموا ثقافيا و اجتماعيا أسس لقرطبة مرجعية ثقافية و نموذجا اجتماعيا، جعلت من قرطبة حاضرة إسلامية.

و على العكس من ذلك كان من نتائج الفتنة القرطبية –البربرية–، تعطيل النشاط الثقافي خاصة في قرطبة، التي لم تكن العاصمة السياسية للأندلس فحسب، بل كانت حاضرة و قطبا للشعر و التأليف و الفقه و الأدب[5]، فحولتها هذه الصراعات و الفتن إلى عاصمة للصراع و الحزن و الخراب، و هو ما يُؤكده ابن حزم

(1) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 83.
(2) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 5.
(3) فضيل بو الصوف : المرجع نفسه، ص 6.
(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 152.
(5) ابن عذارى : المصدر نفسه، ج3، ص 152.

في قوله : " فرأيتها (أي قرطبة) قد محت رسومها و طمست أعلامها و خفيت معاهدها... فصارت صحاري مجدبة بعد العمران و مأوى للذئاب و مخابىء اللصوص ".[1]

و تظهر انعكاسات ذلك أيضا في تعطل عمل المكاتب و العلوم، مثل ما حدث لمكتبة المستنصر الذي كان محبا لجمع الكتب، فقد ذكر المقري أنّ عدد فهارسها أربع و أربعون فهرسة، و لكنّها بيعت و أتلفت أثناء الفتنة البربرية[2]، كما تعرضت مكتبات أخرى للنهب من طرف الجند المغاربة مثل ما حدث لمكتبة القاضي ابن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس، فقد كان محبا لجمع الكتب حتّى صار أجمعهم في البلد. و قد تأثرت حلقات الدرس كذلك بإعصار الفتنة، حيث أعريت سقائف دور علمهم و تعطل صبيانهم[3]، كما تعرض العديد من العلماء في عصر الفتنة إلى السجن و النفي بسبب مواقفهم من أطراف الصراع المختلفة، أمثال ابن حزم و غيره.[4]

و لعلّ من المصائب التي لحقت بالعلم و العلماء من وراء أحداث الفتنة المختلفة هو الهلاك و القتل، فقد قتل مئات من العلماء و الأدباء و خسر بهلاكهم العلم أتباعا مخلصين، و من بين هؤلاء ما أشار إليه ابن حيان من أنّه قد هلك في إحدى المعارك أكثر من ستين مؤدبا، مما حرم تلاميذهم من مواصلة تعليمهم أو تعطيلهم لفترة طويلة.[5]

و منه فإنّ المجتمع الأندلسي دفع ثمنا باهظا خلال الفتنة و بعدها، حيث انتشرت ظواهر خطيرة كقلة الغذاء و غلاء الأسعار ممّا أدّى إلى حدوث مجاعات بشكل فضيع خاصة حين أحرقت أسواقا كثيرة كانت الممول الرئيسي لحاجياتها، دون أن ننسى ما حدث للماشية من نهب أدّى إلى تناقصها بشكل كبير، و لم تكن هذه الظواهر حكرا على قرطبة بل شملت مدنا أندلسية كثيرة.[6]

لم يتوقف تأثير الفتنة البربرية –القرطبية– على الأندلس في جوانب محددة، بل تعداه إلى كل المجالات، حيث لم يسلم العمران بما يمثله من ثقافة و إرث حضاري من التخريب، فعمران قرطبة أحرق و خرّب، و نهبت أبوابه و أخشابه، و في ذلك يقول ابن عذارى : " وانتهبت العامة الأموال و الأسلحة و المخازن، حتّى اقتلعت الأبواب الوثاق و الخشب الضخم و غير ذلك مما حوته القصور ".[7]

---

(1) ابن حزم الأندلسي : رسائل ابن حزم الأندلسي، تح : إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، ج1، 1980، ص 311.

(2) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 27.

(3) خميسي بولعراس : المرجع نفسه، ص 27.

(4) خميسي بولعراس : نفس المرجع و نفس الصفحة.

(5) ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن الجزيرة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1997، القسم الأول، مج1، ص،ص 43،44.

(6) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص،ص 106،107.

(7) ابن عذارى : المصدر نفسه،ج3، ص 61.

لقد أثرّت الفتنة البربرية على التطورات السياسية في الأندلس، كما أثرت على الجوانب الحضارية نحو التدهور و أفرزت مجتمعا غير مستقر يسوده القلق و تهيمن عليه مظاهر التخريب، فأحدثت الفتنة تغييرا جذريا في أندلس الحضارة الإسلامية، و ما عرفه من تطور على عهد الأمويين، لينقسم ذلك الإرث بين عواصم متصارعة.

رابعا : زوال وحدة الأندلس و بوادر ظهور ممالك الطوائف.

سقطت الخلافة في الأندلس بعد أن أصبحت غير قادرة على تكوين جيش ينقذ الدولة و يقضي على كل الثورات و الفتن الداخلية، فلقد غاب الأمن و الاستقرار بسبب الصراع على الخلافة، حتّى أطلّ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، حاملا معه بوادر الفرقة و التلاشي، فقد كان مظهر الأندلس يوحي ببوادر الانفصال و الانقسام[1]، بعدما كانت مظاهر الوحدة السياسية هي أساس الحكم في الأندلس.

و تشير بعض الدراسات إلى أنّ وحدة الأندلس السياسية تفككت منذ تراجع هيبة الخلافة الأموية، و أنّ أطماع الانفصال لبعض قادة أقاليم الأندلس، كانت قبل ذلك بسنوات عديدة[2]، و لكنّ بوادر تحقيقهم لأهدافهم ظهرت مع الفتنة البربرية أو الحرب الأهلية التي نشبت بين خلفاء بني أمية الأواخر، و التي ساهمت في انقسام أهل الأندلس إلى حزبين متصارعين. في بداية الأمر، استعان كل منهما بأحد ملوك إسبانيا النصرانية ضد الآخر، كي يعينه على تولي منصب الخلافة في قرطبة، و انتهز ملوك الإسبان الفرصة حتّى ينالوا نصيبهم من الغنيمة، و ظهرت أيضا أطماع قادة الصقالبة و البربر في حكم بعض أجزاء الأندلس، إضافة إلى رؤساء بعض الأسرات العربية، و حاولوا أن يكونوا لأنفسهم دولا في الأندلس.

و أصبحت كل عشيرة أو طائفة من طوائف سكان الأندلس تسعى لأن يكون لها كيانها السياسي الخاص بها، بما يعرف بممالك الطوائف في الأندلس، و سرعان ما أعلن أصحاب هذه الممالك عن حقهم في الملك، و انتحلوا الألقاب السلطانية، و اتخذوا الحجّاب و الوزراء، و صاروا ملوكا، و من بين العوامل التي ساعدتهم على تحقيق ذلك هي الفتنة البربرية، و ما نتج عنها من استعانة الأمويين بالممالك النصرانية، مما قضى على هيبة الخلافة،و زوال الحماس الديني و العزة القومية لدى هؤلاء الخلفاء الضعاف،فاستهان بهم الناس و أصبحوا لا ينظرون إليهم كما كانوا ينظرون من قبل إلى الناصر أو المستنصر.[3]

لقد أدّت هذه الأحداث التاريخية في الأندلس إلى انقسام الأندلس إلى دويلات عديدة تعرف في التاريخ الأندلسي بدول الطوائف، و أصحابها بملوك الطوائف، و يسمي ابن الكردبوس هذا العصر بعصر الفرق[4]،

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص 11.

(2) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 65.

(3) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق، ص 271.

(4) ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، تح : أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، [د،ط]، مدريد، 1971، ص 78.

حيث تفسخت البلاد و تفرق أهلها شيعا، و استقل كل أمير بناحيته، و استبد كل رئيس منهم على ما تغلب عليه من الجهات، فانقطعت بذلك الدعوة إلى الخلافة في الأندلس.[1]

و لم يكن ليستفيد من هذا الانحلال و التفكك في تلك البلاد إلّا ملوك النصارى، فقد كان من نتائج هذا التمزق السياسي أن انقسم الأندلس فاقتسم البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم، و حكم الصقالبة الشرق، و أصبح ما بقي بعد ذلك من بلاد الأندلس نهبا مقسما بين ذوي المطامع من بقايا الأسر العريقة الذين سمحت لهم الفرصة، و قد انتهى ذلك كله بأن تكوّن من المدينتين الكبيرتين قرطبة و اشبيلية حكومتان شوريتان، و تنقسم أقاليم المسلمين الأخرى إلى دويلات صغيرة متناحرة.[2]

و لقد كان من نتائج هذا الإصرار العنيد على التمسك بالحكم و السلطان أن انقسمت الدولة الإسلامية في الأندلس إلى دويلات عديدة، و بلغت في مجملها ثلاث و عشرين دولة أو دويلة، و ضاعت جهود المسلمين في توحيد الأندلس، و عادت بلاد الأندلس إلى ما كانت عليه قبل الناصر، و تكرست سياسة التمزق السياسي في الأندلس نتيجة للسياسة التي اتبعها ملوك الطوائف، و ذلك باستمرارهم في الصراع ضد بعضهم البعض، و استعانتهم بملوك إسبانيا النصرانية.[3]

إنّ عصر ملوك الطوائف كان الوارث لتركة الخلافة و ما كانت تتضمنه من أمجاد و انحطاط على حد سواء، و أنّ خيرات ذلك العهد الغابر قد توزعته طوائف و فئات من كل جنس و دين، فقد تفرقت دولة الأندلس و قامت على أنقاضها زعامات متعددة و مختلفة فيما بينها، و هو ما أنهى الوحدة السياسية التي كانت تربط بين أقطار الأندلس و أطرافه.

فاختلاف عناصر المجتمع الأندلسي، و تعدد طوائفه من عرب و بربر و صقالبة و غير ذلك، كان له أثره في اختلاف أجناس القيادات السياسية من مملكة لأخرى، و يمكن على هذا تقسيم أولئك الملوك أو الأمراء إلى أربع فئات : أولها فئة العرب ، ثانيها فئة البربر ، ثالثها فئة الفتيان العامريين و رابعها موالي الأمويين.[4]

(1) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم و تحقيق : محمد زينهم و محمد عذب، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، القاهرة، 1994، ص 73.

(2) رينهارت دوزي : ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام، تر : كامل كيلاني، دار كلمات للنشر، القاهرة، ط1، 2012، ص 11.

(3) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق، ص 272.

(4) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 68.

الفصل الأول

ظهور ممالك الطوائف بالأندلس

أولا : التركيب العرقي و الطبقي للمجتمع الأندلسي و دوره في ظهور ممالك الطوائف.

أ- العرب :

يعتبر الفتح الإسلامي للأندلس سببا رئيسيا في ظهور تلك التركيبة الاجتماعية التي عرفتها المنطقة، ليصبح بذلك الأندلس مؤلفا من عناصر بشرية مختلفة، و في مقدمة هذه العناصر، العنصر العربي الذي وفد إلى الأندلس في عمليات الفتح المختلفة، منذ حملة عبور موسى بن نصير الذي قرر العبور سنة (93هـ-712م)، مصطحبا معه جيشا أغلبه من العرب، يتألف من حوالي ثمانية آلاف مقاتل.(1)

و يذهب ابن عبد الحكم إلى أنّ سبب دخول العرب إلى الأندلس مع حملة موسى بن نصير، يعود إلى رغبة العرب في احتكار شرف الفتح و نتائجه دون غيرهم من البربر(2)، و من بين أهم المناطق التي نزل بها العرب نجد بلنسية(3)، التي نزلت و استقرت بها قبيلة معافر اليمنية، و منهم بنو جحاف، حيث تمتعت بنفوذ كبير و استأثرت بخطة القضاء و امتهنوا الفلاحة و البساتين، و بنو زهرة في اشبيلية و كانت لهم مكانة و رفعة.(4)

و قد سكنت العرب من بنو عباد اشبيلية، و بنو رشيق الذين توزعوا بين أشبيلية و غرناطة، و بنو هود في شرقي الأندلس، أمّا تميم فهم كثر في الأندلس، كما سكنت حمير اشبيلية، و توزع بنو يخزوم بن يقضة بن مرة و منهم بنو ميمون في جزيرة شقر، كما سكن اشبيلية قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر من العدنانية و بنو حزم(5)، و بنو رشيق الذين توزعوا بين اشبيلية و غرناطة.(6)

إنّ هذا التوزيع الجغرافي للقبائل العربية قد انحصر في المناطق ذات الخيرات كالأراضي و خصوبتها و الأنهار و الغلات و مواطن الثراء بالنظر إلى مواقعها الإستراتيجية، ثمّ إنّ هذه القبائل كانت تابعة لفرعين كبيرين، و هما : العرب المضرية و العرب اليمنية، و هو ما ساهم في محاولة العرب للحفاظ على أراضيها

---

(1) مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها -رحمهم الله- و الحروب الواقعة بينهم، تحقيق و تقديم : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، ط1، 1981، ص 24.

(2) تقع في شرق الأندلس، ذات سهول خصبة و تقع على نهر ذو حيوية بالسفن التي تجوبه. ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2002، ص 281.

(3) ابن حزم الأندلسي : جمهرة أنساب العرب، تحقيق و تعليق : عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، ط1، 1983، ص 419.

(4) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 41.

(5) المقري : المصدر السابق، ج1، ص،ص 290،291.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

و ممتلكاتها بالأندلس، فكانت بذلك العصبية القبلية هي الموجه الأساسي للأحداث الأندلسية و تطوراتها التاريخية، لذلك نجد أنّ السلطة و الرياسة و الثروة منطلقات لتنافس مختلف التشكيلات الاجتماعية للأندلس.(1)

إنّ هذه النزعات القبلية عند العرب أثرّت على وضع الأندلس في تشكيلاته الاجتماعية و ساهمت في ظهور أهداف و تطورات سياسية، أثرت بدورها على التاريخ السياسي للأندلس، و هو ما أخاف المنصور بن أبي عامر الذي قام بتشتيت هذه النعرات و قطع التحامهم و تعصبهم، حيث قدم القواد على الأجناد، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيلة، و بذلك تذوب الفتن و العصبيات.(2)

و مهما يكن فإنّ العرب قد شكلوا عنصرا هاما و محوريا في التاريخ السياسي و الحضاري للمجتمع الأندلسي، خاصة في فترة عصر ملوك الطوائف، و ذلك لاعتبارين رئيسين، و هما :

1- أنّ الفاتحين كانوا قوة بشرية هائلة عن طريق الهجرات المتتالية.

2- ما تتوفر عليه الأندلس من إمكانيات إقتصادية كانت حافزا رئيسيا للتكسب و التجارة، و منه فإنّ العرب هاجروا و ارتحلوا للأندلس تباعا، و كونّوا أرستقراطية كالرومان و القوط، و ذلك من خلال اكتسابهم لإقطاعات كبيرة تحت إمارة الخدم و العامة.(3)

ب- البربر :

لقد عرف البربر طريقهم إلى الأندلس، و بدأت هجرتهم إليه مع انطلاق عملية الفتح، و قد كانت الهجرة و التوجه الرئيسي مع مرور طارق بن زياد للأندلس، و هي الحملة التي ساهمت في فتح الأندلس و نشر الإسلام، و قد كان عدد البربر يفوق بكثير عدد العرب في هذه الحملة، و هذا ما تؤكده المصادر مثل ابن عذارى المراكشي في قوله : " و كان اجتمع لطارق اثنا عشر ألفا من البربر "(4)، و ما نقله أيضا ابن خلدون في قوله : " و أجاز البحر سنة اثنتين و تسعين من الهجرة بإذن من أميره موسى بن نصير في نحو ثلاثمائة من العرب و انتهب معه من البربر زهاء عشرة آلاف ".(5)

و لم يختلف الأمر في ذلك عن طريقة قدوم العرب إلى بلاد الأندلس، فلم يقتصر كذلك دخول البربر إلى الأندلس على من شاركوا مع طارق ابن زيد في فتحه للأندلس، بل أنّ تيار الهجرة البربرية تواصل بعد ذلك، فالانتصارات الأولى شجعت البربر على التدفق إلى الأندلس بغية التماس الغنائم أو الاستقرار في المناطق

(1) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 42.

(2) المقري : المصدر السابق، ج1، ص 293.

(3) مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها -رحمهم الله- و الحروب الواقعة بينهم، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط2، 1989، ص 43.

(4) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج2، ص 6.

(5) خميس بولعراس : المرجع السابق، ص 43.

الخصبة[1]، و هو ما عبرت عنه بعض المصادر صراحة، حيث يرى المقري أنّه : " قد تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالأندلس و سعة المغانم فيها فأقبلوا نحوه من كل وجه و خرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب و قشر ".[2]

إنّ لهجرة البربر نحو الأندلس في الفترة المبكرة من تاريخ قدومهم، يلحظ أنّها لم تعرف انقطاعا، و لا شكّ أنّ نصيب البربر كان أكثر من العرب، فاتخذوا من البلد الجديد موطنا لهم، حيث تعددت أسباب ذلك، فرغبة الجهاد و نشر الإسلام يظهرها ذلك التواجد المكثف للبربر في المناطق الشمالية المواجهة للنصارى[3]، دون أن ننسى غنى الأندلس و كثرة خيراتها، و حاجة البربر إلى تحسين واقعهم المعيشي، و ما تتميز به الأندلس من قرب الموقع الجغرافي و سهولة الجواز إليها.[4]

و قد عرفت الهجرات البربرية نحو الأندلس أوجها على عهد حكم المستنصر (350-360هـ/961-971م)، و يرجع ذلك إلى الصراع الأموي الفاطمي في المغرب و انقسامهم بين مؤيد للفاطميين و مؤيد لبني أمية، و ازدادت في عهد المنصور بن أبي عامر الذي كان سواد جيشه الأعظم من البربر[5]، و ما يلاحظ على هجرة البربر نحو الأندلس، أنّها عرفت هجرة أغلب القبائل البربرية المنتشرة في بلاد المغرب، كما عرفت أيضا توزعا جغرافيا في بلاد الأندلس يختلف عن المناطق التي استقر بها العرب.

و ما يمكن أن نستنتجه من هذا التوزيع الجغرافي أنّ هناك مناطق ذات كثافة بربرية كما هو الحال في الجنوب، و مناطق ذات كثافة قليلة، و ربما يرجع ذلك لقرب الجنوب من العدوة و صعوبة مزاحمة العرب في باقي المناطق.

و قد بدأت معاناة البربر في الأندلس منذ عهد الفتنة و ظهور أزمة الخلافة، و هو ما ساهم في انتقالهم إلى معارضة الحكم في أغلب الأوقات[6]، و أدّى ذلك أيضا إلى تشتتهم و قهرهم حتّى مجيء المستعين، الذي قسّم البلاد الأندلسية على رؤساء البربر، فاستحوذت صنهاجة على منطقة البيرة، و مغراوة على الجوف، و أعطى منذر بن يحي سرقسطة، و بني برزوال و بني يفرن جيان، و أعطى بني دمر و أزداجة شذونة و مورور.[7]

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
(2) المقري : المصدر السابق، ج1، ص 159.
(3) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس، ص 125.
(4) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 44.
(5) ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق، ج2، ص 8-9.
(6) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 45.
(7) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 113.

و هو ما ساهم في تشكيل البربر لكيانات سياسية متعددة، و اتخذوا من المناطق الوعرة مسكنا لهم، و أتقنوا اللغة العربية و انصهروا في المجتمع الأندلسي انصهارا تاما[1]، و لعبوا بذلك دورا رئيسيا في الحياة السياسية و الاجتماعية للأندلس، فساهموا في نشر الإسلام و شاركوا في الحياة السياسية.

ج- الصقالبة[2] :

و هم على الأرجح أمة بل أمم كثيرة مرجعها إلى أصل واحد، و يجعل ياقوت الحموي موطنهم الأصلي يعود إلى ما بين البلغار و القسطنطينية[3]، و الصقالبة عموما هم ولد " صقلب بن لنطي " المشهورة بهذه النسبة هم من مار بن يافث بن نوح و إليه ترجع جميع أجناس الصقالبة.[4]

أمّا بالنسبة لاسم الصقالبة فهو بالإفرنجية (سلاف- *Slave*)، و يرجعون إلى إحدى القبائل التي تسكن في القسم الشرقي من أوروبا، حيث تعرضت بلادهم إلى غزو جرماني متبربر، نهبوا خلالها خيرات البلاد، و سبوا الكثير من أبنائهم الذين أطلق عليهم اسم السلاف، على أنّ أسرى الحرب منهم سموا بالصقالبة.[5]

أمّا في الأندلس فإنّ كلمة الصقالبة تطلق على الخصيان و الأسرى من الأجناس الصقلبية السلافية الحقيقية، إلّا أنّ هذه التسمية غدت تطلق بمرور الزمن على الأجانب الذين يخدمون في البطانة و في القصر، حيث كان الصقالبة مزيجا من النصارى الأسبان و الألمان و الفرنسيون و غيرهم.[6]

و قد جاء هؤلاء الصقالبة أطفالا إناثا و ذكورا، حيث استخدموا في الحرس و الجيش لإخماد الثورات الداخلية و في حروبهم ضد النصارى، حتّى أنّ بعضهم ارتفع إلى مصاف القادة العسكريين، خاصة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)، و عملوا في الحجابة و علا شأنهم و نافسوا العنصر

(1) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، [د،ط]، ص،ص 125،126.

(2) الصقالبة بالفتح ثمّ السكون و فتح اللّام و هم جيل حمر اللّون صهب الشعور، يتجامون بلاد الخزر و بعض جبال الروم، و قيل للرجل الأحمر صقلاب تشبيها بألوان الصقالبة، ينظر : ابن خلدون، لسان العرب، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت،ط1، مج1، ص 625.

(3) ياقوت الحموي : معجم البلدان، تحقيق : محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1906، مج5، ص 372.

(4) المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، [د،ط]، بيروت، مج2، ص 32.

(5) خلفات مفتاح : صقالبة الأندلس بين القرنين (03-05هـ/09-11م)، دراسة سياسية اجتماعية ثقافية، أطروحة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2000، ص 02.

(6) محمد عبد اللّه عنان : تراجم شرقية و أندلسية، مكتبة الخانجي، [د،ط]، مصر، ص 192.

العربي في المناصب[1]، و هي الأعمال و المناصب التي أدّت إلى ظهور مكانتهم في التاريخ السياسي للأندلس، و أدّت إلى تكوينهم لدويلات مستقلة على عهد ملوك الطوائف.

و قد تميّز الفتيان الصقالبة في تكوينهم بالأندلس، بحظوتهم بتنشئة خاصة، فيتعلمون العربية و فنون الفروسية، و يتلقون تربية تثقيفية تحت رعاية مهتمين، ذلك أنّهم كانوا يربون منذ طفولتهم في قصور الحكام، و يزودونهم بمستوى ثقافي لائق ليكونوا لهم أحقية تسيير شؤونهم، و بحكم مكانتهم و مركزهم الاجتماعي، و بالنظر إلى الأعمال التي كانوا يباشرونها داخل القصر، فقد اهتموا بمظهرهم و هندامهم و مكانتهم في المجتمع.[2]

و بهذا نستطيع القول أنّ الصقالبة كانوا عنصرا هاما من عناصر المجتمع، لعبوا دورا سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا هاما، و استطاع بعضهم أن يكوّن ثروة طائلة و يمتلك العبيد و الإقطاعات، و منهم من وصل إلى السياسة و أسس دولة كمجاهد العامري و زهير العامري، الذين اتخذا شرق الأندلس ملكا لهم.

د- المولّدون – *Los Muladus* :

تختلف المصادر حول تحديد دقيق لمفهوم " المولدين "، حيث يرى السيد عبد العزيز سالم أنّهم جيل جاء على إثر المصاهرة بين المسلمين و أهل البلاد[3]، بينما يذهب الباحث المغربي إبراهيم القادري بوتشيش على أنّهم منحدرين من أصل إسباني اعتنقوا الإسلام أو ولدوا من أب مسلم و نشئوا على الديانة الإسلامية.[4]

و منه فإنّ هذه الفئة هي نتاج المسلمين عربا كانوا أو بربرا من نساء إسبانيات مسيحيات، و هم في ذلك يختلفون عن الأسالمة أو المسالمة، و هم عناصر إسبانية أسلمت مع الفتح أو بعده، و لكنّ كثيرا من الباحثين اختلط عليهم الأمر حتّى اعتبروا المسالمة مولّدون.[5]

و لقد لعبت فئة المولّدون دورا كبيرا في الحياة السياسية و الحركية الاجتماعية للمجتمع الأندلسي، حيث أنّ البعض منهم استقر في البادية، فاحترفوا مهنا متواضعة كتربية الماشية و غراسة الأشجار و قطع الخشب[6]،

(1) ابن الخطيب : أعمال الأعمال فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق : ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص،ص 40،41.

(2) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 50.

(3) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 128.

(4) إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، [د،ط]، بيروت، 1998، ص 43.

(5) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 52.

(6) ابراهيم القادري بوتشيش : المرجع السابق، ص 44.

كما اتخذ بعضهم الأسماء العربية ليثبتوا أنّهم قديمي العهد بالإسلام، و منهم من نسي أصله، و منهم من ظلّ على نسبه القديم مثل بني بشكوال (*Pascual*).[1]

و يعتبر حكم الأمويين بالأندلس على عهد الإمارة و الخلافة من أهم الفترات التي عرفت انتشارا واسعا لفئة المولّدون، فقد أصبحوا يشكلون القسم الأعظم من السكان خاصة في قرطبة، و طليطلة و اشبيلية، و لقد كان لظهور هذه الفئة أثره الإيجابي في سرعة انتشار الإسلام عن طريق الزواج المختلط، كما شاركوا في الحياة السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و العلمية للأندلس، و لم يفقدوا بالرغم من ذلك شخصيتهم باعتبارهم من أصل إسباني، و لذلك سيشكلون حركة عصبية تدعو إلى الثورة و تكوين كيان سياسي مستقل لهم.[2]

هـ- المستعربون[3] *Los Mozarabos* :

و هم نصارى الإسبان الذين كانوا يحتكون بالمسلمين و يتكلمون العربية مع احتفاظهم بدينهم و معتقداتهم، و كانوا يسمون أيضا بالعجم، و قد شكلت هذه الفئة جزءا هاما من تاريخ النسيج الاجتماعي للأندلس.[4]

و قد توزع المستعربون بين الأرياف و المدن في الأندلس، و في بعض الحالات نجد ذكر المصادر لوجود أحياء خاصة مستقلة بهم داخل المدينة و خارجها، كما كانت لهم مدافن خاصة عند بوابات المدن، غير أنّ عدد المستعربين أخذ في التناقص تدريجيا بسبب ارتفاع عدد المسالمة، حتّى صاروا أقلية و باعتناقهم الإسلام يفقد المستعرب مكانته القانونية، فمن الممكن جدا أن يكون مسلمو الأندلس قد حافظوا على هذه التقاليد اللّاتينية و ظلوا مع ذلك مسلمين دينيا و اجتماعيا.[5]

و يعتبر المستعربون من أهم العناصر الأساسية في المجتمع الأندلسي، التي عملت على نقل حضارة و ثقافة الأندلس إلى أوروبا، و كانوا أيضا يمارسون أشغالا علمية و عملية مختلفة، ربما أهلت بعضهم ليصبحوا من ذوي النفوذ، و يعملون أيضا على التأثير على التطورات السياسية التي عرفها الأندلس، خاصة ما تعلق بالثورات و الانقسام السياسي على عهد فترة ملوك الطوائف.[6]

---

(1) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 52.

(2) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 129.

(3) أطلقت هذه التسمية في الكتابات و النصوص الرسمية في زمن متأخر، و تطلق على نصارى الأندلس المحتكون بالعرب و المسلمين، ينظر : حسين مؤنس، فجر الأندلس–دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711–756م، الدار السعودية للنشر و التوزيع، ط2، 1985، ص 125.

(4) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 130.

(5) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 52.

(6) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 133.

و- اليهود :

يعتبر اليهود من أهم الطوائف المشكلة للنسيج الاجتماعي لبلاد الأندلس، منذ الفتح الإسلامي للمنطقة، و قد بلغ عددهم خلال الفتح على ما يزيد عن مائة ألف[1]، و تشير الدراسات إلى تعرض اليهود للمضايقات الاجتماعية و الدينية، قبل قدوم المسلمين للأندلس، و لعلّ الباحثون الأسبان يجعلون من تردي أوضاع اليهود يعود في أسبابه الأصلية إلى علاقة اليهود بالمسلمين في بلاد المغرب، و مساعدتهم في فتح الأندلس.[2]

يعود الظهور الحقيقي لليهود في مسرح الأحدث التاريخية و الحضارية للأندلس، منذ وقت مبكر من عصر الخلافة الأموية، و تعتبر مدينة غرناطة من ضمن المدن التي كثرت بها التقاليد اليهودية، حتّى لقبت بمدينة اليهود، و قد عرفوا أيضا بممارستهم للشؤون المالية على مستويات عليا داخل السلطة على عهد ملوك الطوائف و أيام بني زيري في غرناطة.[3]

و لم تظهر ملامح أهل الذمة على اليهود في الأندلس، فقد اندمجوا بشكل كبير داخل المجتمع الأندلسي بمختلف أطيافه، و كانوا من ذوي المال الذي أهّلهم لامتهان التجارة في حوض المتوسط، كما ساعدتهم الأعمال التجارية على تمتين الروابط مع الجاليات اليهودية المتفرقة في مختلف مناطق العالم، كما اهتموا بالسياسة و كان لهم دور كبير فيها، بطرق مباشرة و أخرى غير مباشرة، كما عيّنوا في مناصب حساسة كمناصب المال[4]، و هو ما ساهم في ظهورهم في مختلف التطورات السياسية التي ساهمت في ظهور عصر الطوائف بالأندلس.

و بالرغم مما حظي به اليهود في الأندلس من مكانة، حيث احترمت شعائرهم الدينية فأدخلوهم في ذمتهم مقابل الجزية و الخراج و كانت معاملتهم بتسامح كبير[5]، إلّا أنّ علاقات البيع و الشراء معهم كانت تعرف تدخلا للجانب الشرعي من خلال المحتسب، و هو ما عبرّ عنه ابن عبدون في شروط التعامل التجاري مع اليهود، و ذلك في قوله : " لا يُشترى منه –أي اليهودي– بيض و لا دجاج و لا لبن و لا غير ذلك، لكن يتبايعونه بينهم ".[6]

(1) حسن أحمد النوش : التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1992، ص 45.

(2) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 56.

(3) عبد الله بن بلقين : مذكرات الأمير عبد الله المسماة كتاب التبيان، تحقيق : ليفي بروفنسال، دار المعارف المصرية، مصر، [د،ط]، 1955، ص 130.

(4) ابن حوقل : صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، 1996، ص 106.

(5) خميسي بولعراس : المرجع السابق، ص 58.

(6) ابن عبدون : رسالة في القضاء و الحسبة، نشر ليفي بروفنسال ضمن الجريدة الآسيوية، أفريل–جوان 1934، ص47.

تعتبر التركيبات العرقية المذكورة هي أهم مكونات المجتمع الأندلسي على عهد حكم بني أمية، و قد أعطت باختلاف أصولها و أديانها للمجتمع تجانسا عرقيا، و خليطا من مختلف الأجناس و العصبيات، ساهمت بدورها هذه العصبيات في ظهور تغيرات سياسية، مثل الفتنة القرطبية و غيرها من الفتن و الثورات، التي كادت أن تعصف بتواجد المسلمين بالأندلس.

و مهما يكن من أمر فإنّ هذه العناصر قد ساهمت في التطورات التاريخية و الاجتماعية للأندلس عصر الخلافة الأموية، و أدّت إلى ظهور عصر الطوائف و ساهمت أيضا في مختلف تطوراته، و لقد لعبت العصبية القبلية و الدينية دورا كبيرا في ذلك.

ثانيا : أسباب قيام ممالك الطوائف.

عاشت الأندلس – بعد ذهاب الخلافة و انتهاء حكم أسرة بني عامر– سنوات صعبة من الفرقة و التنافس، حاول بعض القادة الغيورين على مصير الإسلام بالأندلس أن يسترجعوا وحدته و إعادة خلافته، و بذلوا في ذلك الجهود الكبيرة، دون جدوى، فانتابت الأندلس حالة مريعة من الفوضى و الانقسام، أدّت إلى ظهور عصر ملوك الطوائف.

لقد تعددت الأسباب المؤدية إلى تراجع و سقوط حكم بني أمية بالأندلس، و التي انتهت بزوال الخلافة الأموية، حيث ارتبطت أهم هذه الأسباب بالوضع السياسي في نهاية عصر الخلافة الأموية، و الذي تميز بنوع من الاضطراب كان من أسبابه الصراع حول السلطة خلال فترة حكم الخليفة المهدي، الذي عرف عهده بداية اضطهاد البربر، و بداية ظهور الفتن الداخلية –الفتنة البربرية–، و التي ساهمت بشكل كبير في خلق أوضاع مساهمة في تراجع و سقوط حكم بني أمية، و بذلك فقدت الأندلس وحدتها السياسية.[1]

و من بين أهم الأسباب التي ساهمت في ظهور و قيام ممالك الطوائف، هو ذلك التطور السياسي و الاجتماعي لبلاد الأندلس، فإنّ خضوع كثير من المدن الأندلسية الكبرى لسيادة قرطبة لم يعد ممكنا بعد أن تطورت الأوضاع الاجتماعية، و نشأ فيها الكثير من الفئات الأرستقراطية المحلية، و التي تعمقت جذورها في الوسط الاجتماعي لكل من تلك المدن، و التي اتسعت بدورها و نمت سريعا بحيث أنّ السيطرة عليها غدت في حاجة إلى سلطان قوي و نافذ و خليفة حازم.[2]

(1) عبد القادر ورقلاتي : الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأطلس، الجزائر، ط1، 2006، ص 99.
(2) سعد عبد الله البشري : المرجع السابق، ص 52.

و لكنّ القادة المحليين لهذه المدن و الأقاليم، باستغلالهم لأوضاع الخلافة المتردية، و الصراعات و الفتن داخل قرطبة، هيأت تلك المدن و القواعد الأندلسية لبوادر الانفصال، فكان طبيعيا أن تستقل تلك المدن و إصرارها على إدارة شؤونها بنفسها.[1]

و من بين التفسيرات التي اعتبرها البعض سببا في ظهور أطماع القادة المحليين لانفصالهم عن مركز الخلافة، بداية ضعف اعتقاد المسلمين في الأندلس بصحة خلافة بني أمية، بعكس العباسين الذين هم أرسخ قدما في الخلافة لقرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه و سلم[2]، و هو ما ساهم في تراجع هيبة بني أمية عند الرعية، ما استغله قادة الممالك في استعطاف الرعية و المطالبة بالانفصال عن حكم بني أمية، و هو ما تحقق لهم آخر المطاف.

و ليس أبلغ تعبير في وصف حال الأندلس في ظل هذه الظروف العصيبة، و كيف تهافت حكام الأقاليم كل من منصبه في إشاعة الفتن و القلاقل، بهدف إسقاط خلافة بني أمية، و تقاسم بلاد المسلمين، وقد عبّر عن ذلك ابن الخطيب في قوله : " و ذهب أهل الأندلس من الانشقاق و الانشعاب و الافتراق إلى حيث لم يذهب كثيرا من أهل الأقطار... ليس لأحدهم في الخلافة إرث و لا في الإمارة سبب و لا في الفروسية نسب و لا في شروط الإمامة مكتسب اقتطعوا الأقطار، و اقتسموا المدائن الكبار، و جبوا العمالات و الأمصار و جندوا الجنود، و قدموا القضاة، و انتحلوا الألقاب... ". [3]

و قد استغل هؤلاء الملوك حالة البلاد الإسلامية، فبسطوا نفوذهم على المناطق التي تواليهم و عملوا جميعا على تأسيس هذه الكيانات و الحفاظ عليها في أسرهم، و في هذا الصدد يقول خليل إبراهيم السامرائي واصفا ملوك الطوائف : " و هم ما بين زعيم قبيلة، و صاحب نفوذ، أو حاكم لإحدى الكور، أو وزير سابق، أو شيخ قضاء ".[4]

و هكذا اختفت القوة الأولى –خلافة بني أمية– في الأندلس من ميدان النضال بسرعة، و قد كان واضحا لدى بعض المؤرخين أنّ الخلافة الأموية لم تكن تحمل منذ البداية عوامل قوتها، و لكن لم تكن سوى رمز تُحيط به هالة من الجلال القديم، و من الاعتبارات الشرعية و الأدبية، و لم تحقق قوتها إلّا بالاعتماد على قوى و عناصر أخرى، ذات ولاء و لكنّ سياسة خلفاء بني أمية المتأخرين مكنّت من زوال حكمهم، و تركت بعد اختفائها من الميدان القوتين الأخريين، و هما البربر و العصبية العربية، وجها لوجه.[5]

---

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، [د،ط]، [د،ت]، ج2، ص 496.

(3) ابن الخطيب، لسان الدين : تاريخ اسبانيا الإسلامية، أو كتاب أعمال الإعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق : ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص 144.

(4) خليل إبراهيم السامرائي و آخرون:تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 224.

(5) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص،ص 13،14.

و عرفت العصبتين ظهورا لبوادر الصراع بينها، فبعد فوز البربر برياسة المثلث الجنوبي في شبه الجزيرة الاسبانية، و أن يقيموا لهم ملكا و خلافة، و فازت العرب بمعظم القواعد الأندلسية الكبرى، مثل قرطبة و اشبيلية و سرقسطة و بلنسية و مرسية و ألمرية، و استطاع الفتيان العامريون أن يبسطوا سلطانهم على معظم المناطق الشرقية و على ألمرية لفترة قصيرة.[1]

و أضحت بذلك الأندلس في أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجري، لا تعرف من الاستقرار لونا و لا من الوحدة مظهرا، و تعددت الرياسات في أنحائها لا تربطها رابطة، و لا تجمع كلمتها مصلحة مشتركة، تفرقها منافسات و أطماع شخصية وضيعة، و تظهر بين حروب أهلية، و هو ما ميّز عصر ملوك الطوائف عموما.

ثالثا : التقسيم الإداري و السياسي لأهم الطوائف بالأندلس.

1- قرطبة و أهم دول الطوائف في الأندلس الغربية و الوسطى :

أ- دولة بني جهور في قرطبة :

ينتمي ابن جهور إلى بيت من أعرق بيوتات الموالي الأندلسية، و هو أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور بن عبيد الله، و كان جده من أنصار عبد الرحمن الداخل، و تولّى أبناؤه بعد ذلك مناصب الوزارة و القيادة تباعا في ظل أمراء بني أمية و خلفائهم، مارسوا الحكم في فترة الفتنة القرطبية، و كان زعيمهم هو أبو الحزم جهور، الذي يتمتع بمكانة شعبية، حتّى أصبح في نهاية الأمر " شيخ الجماعة " و زعيم قرطبة.[2]

في ظلّ هذه التطورات السياسية و نهاية خلافة قرطبة، وجد " أبو الحزم جهور" نفسه و بإجماع سكان قرطبة رئيسا لحكومة قرطبة الجديدة، و كانت هذه الحكومة التي قامت على أنقاض الخلافة الأموية، تبسط سلطانها على رقعة متوسطة من الأندلس، تشمل من المدن إضافة إلى قرطبة، جيان و أبدة و بيّاسة و المدور و أرجونة و أندوجر.[3]

و استمرت حكومة ابن جهور في قرطبة، قرابة اثنتي عشرة عاما، و قد سادت بها السكينة و الأمن، لما تميز به " جهور " من مسالمة و تواضع، حيث كانت قرطبة في أيامه ملاذ الزعماء و الرؤساء المخلوعين،

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 14.

(2) عبد الرحمن علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح حتّى سقوط غرناطة، دار القلم، بيروت، ط2، 1981، ص 323.

(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 213.

و هكذا استقرت الأوضاع في قرطبة على عهد حكومة ابن جهور، إلى غاية وفاته سنة (435هـ-1044م)، فخلفه في الرياسة ابنه " أبو الوليد محمد بن جهور "، و أقرّ سياسة أبيه في معظم حالات تسييره.(1)

بتولية أبو الوليد محمد بن جهور عرفت قرطبة بوادر ظهور دولة ابن " جهور "، و التي استقر حكمها على قرطبة و بعض أقاليمها، حيث استمرّ " أبو الوليد " في تطبيق سياسة أبيه، لكنّه ما لبث أن قدّم على الناس ابنه عبد الملك، و أخذ عليهم العهد له، فأساء عبد الملك السيرة، و استبدّ بالسلطة، و لكنّه سارع في تدارك ذلك بتفويض أمر السيادة إلى وزير أبيه إبراهيم بن يحي المعروف بابن السقاء، و ذلك في سنة (440هـ)، فضبطها و أصلحها و عمل على تهدئة الأحوال.(2)

و لكنّ المعتضد ابن عباد أمير اشبيلية توغلّ في حكم قرطبة، و أشار لعبد الملك ابن جهور بقتل وزيره " إبراهيم بن يحي "، و قد أشارت المصادر إلى خوف ابن عباد من حنكة و تسيير هذا الوزير، و دوره في قوة دولة " ابن جهور "، و قد كان عبد الملك سيء الرأي و التقدير، فاستمع لتحريض ابن عباد، و قتل وزيره في كمين دُبّر له (455هـ-1063م).(3)

تعتبر حادثة قتل الوزير " إبراهيم بن يحي " سببا رئيسيا في بداية فساد جهاز حكم " بني جهور " في الأندلس، و بدأ التنافس بين عبد الملك و أخيه الأكبر عبد الرحمن، و بدأ الصراع داخل بيت " ابن جهور "، و أخذ كل منهما يستميل طائفة من الجند ضد الآخر، و بدأ الضعف يسري إلى حكمهم، و ظهرت مطامع ملوك الطوائف المجاورة في محاولاتها السيطرة على قرطبة، فخرج المأمون يحي بن ذي النون بقواته من طليطلة قاصدا غزو قرطبة، و انتهى الصراع باستسلام " عبد الملك " حاكم دولة بني جهور.

و هكذا انتهت دولة " ابن جهور " بقرطبة، بعد أن لبثت أربعين عاما، و كانت أول دولة تسقط من بين دول الطوائف الرئيسية، و يلتحق حكم قرطبة و دولة ابن جهور بحكم بني عباد في اشبيلية، و قد عُرف على دولة " ابن جهور " على أنّها دولة نموذجية، و لا سيما في عهد مؤسسها الوزير أبي الحزم بن جهور، و كانت تتمتع من بين دول الطوائف بمكانة علمية على وجه الخصوص.(4)

ب- بنو الأفطس و مملكة بطليوس :

تقع مملكة بطليوس و حكامها بنو الأفطس بجوار مملكة اشبيلية من الشمال، تفصلها عنها جبال الشارّات الكبرى، و تشمل مملكة بطليوس رقعة كبيرة تمتد من غرب مملكة طليطلة غربا حتّى المحيط الأطلنطي، و تشمل أراضي البرتغال كلها تقريبا، و كانت عاصمتها " بطليوس "، و تشمل إضافة لها مدن كثيرة، و قد حكم

(1) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 215.
(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 26.
(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 232.
(4) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص،ص 82،83.

بنو الأفطس أو ما يطلق عليهم " بنو مسلمة " هذه المملكة لأزيد من سبعين عاما، و تذهب بعض المصادر إلى تحديد أصل بني الأفطس في انتمائهم إلى " تجيب "، و أصلهم من بلدة فحص البلوط من ولاية قرطبة، و كان أول حكامهم هو " عبد الله بن الأفطس " المنصور، و الذي اشتغل طيلة حكمه في صد اعتداءات بني عباد على مملكته، و ذلك إلى وفاته في سنة (437هـ-1045م).[1]

خلفه ولده محمد بن عبد الله بن الأفطس و تلقب بالمظفر، و عرف حكمه تعرض مملكة بني الأفطس للعداء من طرف ممالك كثيرة، و حاول أن يحافظ على حكم مملكته، و عرف حكمه أيضا صراعه مع الممالك النصرانية، بسبب وجوده في الحدود الشمالية لحكم المسلمين في الأندلس.

و قد توفي المظفر بن الأفطس في سنة (461هـ-1068م)، فخلفه ولده يحي الملقب بالمنصور، و استمر في صراعه مع الممالك النصرانية في الشمال، بالرغم مما عرفه حكمه من صراع داخلي، بسبب ثورة أخيه عمر عليه، الذي كان يرى في نفسه أحق منه بالملك و الحكم، حيث لجأ " عمر " إلى التحالف مع المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، و اتجه المنصور إلى معاونة المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية، و دخلت مملكة بطليوس في فتنة داخلية انتهت بوفاة المنصور سنة (464هـ-1072م)، و تولّى الحكم عمر و دخل بطليوس و تلقب بالمتوكل.[2]

و كان المتوكل بن الأفطس من أشهر ملوك الطوائف و أبقاهم ذكرا، لما يشتهر به من علمه و أدبه و شعره، فقد قال فيه ابن الخطيب : " و كان المتوكل ملكا عالي القدر، مشهور الفضل، مثلا في الجلالة و السرو، من أهل الرأي والحزم و البلاغة، وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب و شعر و نحو و علم ".[3]

و قد عرفت مملكة بطليوس على عهده فترة سلام و أمن و رخاء، بالرغم مما عرفته من صراع مع الممالك النصرانية، حيث عُرف على المتوكل سعيه لتوحيد بلاد الأندلس خلال حكم الطوائف من أجل مواجهة " ألفونسو "، خاصة بعد سقوط طليطلة في يد النصارى، و كيف تحالف مع المعتمد بن عباد، و كلاهما يومئذ يعرف خطر العدوان الصليبي، على مختلف الممالك الإسلامية بالأندلس[4]، و قد انتهى حكم بني الأفطس بنهاية حكم المتوكل، و ذلك سنة (487هـ-1094م)، بسبب انتصار الممالك النصرانية على ملوك الطوائف المسلمة في أرض الأندلس.

ج- مملكة بني ذي النون في طليطلة :

(1) علي الحجي : المرجع السابق، ص 332.

(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 84.

(3) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 185.

(4) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 86.

تعتبر مملكة بني ذي النون في طليطلة من أكبر دول الطوائف مساحة، عرفت منذ قيام الدولة الإسلامية بالأندلس " بالثغر الأوسط "، و ذلك لموقعها الجغرافي و امتلاكها لحدود جغرافية مع أهم الممالك الإسبانية النصرانية، و اعتبارها بذلك حاجز الدولة الإسلامية و جناحها الشمالي الأوسط، ضد عدوان الممالك النصرانية.

استمرت أهمية مملكة طليطلة على عهد ملوك الطوائف، حيث كانت تشمل موقعا جغرافيا هاما، تمتد شرقي مملكة بطليوس، و يقال أنّ أصل بنو ذي النون من البربر، من قبائل هوارة، و يعود حكم بني ذي النون على طليطلة إلى سنة (427هـ-1036م)، و ذلك عن طريق حكم إسماعيل بن ذي النون، و تلقبه بالظافر، و لكنّ حكم إسماعيل لم يدم طويلا، إذ توفي في سنة (435هـ-1043م) ، و خلفه ولده يحي بن إسماعيل، و تلقّب بالمأمون و سار على نهج أبيه.[1]

غير أنّ عهد المأمون و الذي امتد لأزيد من ثلاثة و ثلاثين سنة، كان مليئا بالحروب بين المأمون و منافسيه من ملوك الطوائف المجاورة، أمثال ابن هود صاحب سرقسطة و الثغر الأعلى، و ابن عباد صاحب اشبيلية، و لكنّ حكم المأمون عرف توسعا و انتشارا لمملكة طليطلة لتصل شرقا إلى بلنسية، و ازدهرت و عمها الرخاء، و جمع المأمون ثروات طائلة.[2]

و قد خلف المأمون حفيده يحيى بن ذي النون الملقب بـ : " القادر "، و ذلك بسبب وفاة هشام ولد المأمون قبل وفاة أبيه، و كان القادر فتى صغيرا عرفت أيامه صراعا و فتنة داخلية، و دخل في صراع مع مملكة بني الأفطس، انتهت بفراره من طليطلة، و لكنّه كتب إلى " ألفونسو " ملك قشتالة يذكره بسالف الود بينه و بين جده المأمون، و يطلب منه مساعدته في استرجاع عاصمته من حكم بني الأفطس، فاستجاب " ألفونسو " لطلبه و هو ينوي سيطرته على كل ما أتيح أمامه من بلاد المسلمين، و دخل القادر طليطلة من جديد سنة (474هـ-1081م).[3]

لم يتوقف " ألفونسو " في تخطيطه لاحتلال طليطلة منذ دخول " القادر " إليها سنة (474هـ - 1081م)، و ذلك تحت غطاء حماية حليفه " القادر " من أعدائه، و قد ساعد " ألفونسو " في تحقيقه لمخططه الحزب الموالي له من أهل " طليطلة "، و رأى الملك " ألفونسو " في طليطلة أولى القلاع الإسلامية التي يسيطر عليها.

و بالرغم من محاولات أمير بطليوس " عمر المتوكل " بن الأفطس لحماية طليطلة من هجمات ألفونسو، إلّا أنّ قوة الجيوش النصرانية حالت دون ذلك، ففي خريف سنة (477هـ-1084م)، حاصر الملك " ألفونسو "

(1) المرجع نفسه، ص 109.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص 232.

(3) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص،ص 158،159.

طليطلة، و انتهى الأمر بسقوط المدينة في يد النصارى، و نهاية حكم بني ذو النون للمدينة و نهاية الحكم الإسلامي لها أيضا، و ذلك في حدود سنة (478هـ).[1]

2- الدول البربرية في جنوب الأندلس :

أ- دولة بني مناد البربرية في غرناطة و مالقة :

كان لانهيار الخلافة الأموية و السلطة المركزية في قرطبة، فرصة سانحة لظهور الزعامات البربرية في الأندلس، و احتلوا مراكز الصدارة في الجيوش الأندلسية، حيث استطاع بذلك الزعماء البربر أن يظفروا بنصيب وافر، فقامت منهم دولة بني حمود في جنوبي الأندلس، و أنشأت خلافة جديدة، و قامت خلالها و من بعدها، عدة دول بربرية محلية، في غرناطة و غيرها، و هو ما يبيّن أنّ سلطان القبائل البربرية بالأندلس عرف قوة و ظهورا في عصر ملوك الطوائف، و نذكر من هذه الدويلات دولة بني مناد البربرية في غرناطة و مالقة.

يرجع بنو مناد في الأصل إلى قبيلة صنهاجة البربرية الشهيرة، و قد بدأ حكم دولتهم منذ ولاية " حبّوس " لغرناطة في سنة (411هـ)، و ما تميز به حكمه من أمن و استقرار و صلاح للرعية، و توسعت خلاله دولة بني مناد في غرناطة و اتسع مجالها الجغرافي ليشمل مالقة و غيرها، و قد خلفه في حكم غرناطة ولده باديس، الذي قدر له أن يكون أقوى ملوك البربر في جنوبي الأندلس، و لم ينازعه في الملك أخوه بُلُقّين بن حبوس، و لكنّه واجه صراعا كبيرا مع زهير العامري صاحب ألمرية، إضافة إلى مواجهته لأطماع بني عباد في اشبيلية.[2]

و بضعف حكم بني حمود في مالقة، بدأ باديس بالتدخل في شؤون مملكة مالقة، و استطاع أن ينتزع ملكها، و تمّ له ذلك في سنة (449هـ-1057م) ، و ذلك بعد أن ارتقى عرش مالقة، و عرفت فترة حكمه محاولة فرض الأمن داخل مملكته و محاولاته المتكررة لتوسعة ملكه، و قد استمرّ حكم باديس إلى وفاته سنة (465هـ-1073م)، بعد حكم دام سبعا و ثلاثين سنة[3]، و قد كان باديس بن حبوس أعظم ملوك البربر في عصر الطوائف و أقواهم ملكا، و كانت مملكته من أكبر ممالك الطوائف رقعة جغرافية[4]، و قد وصف ابن الخطيب حكمه في قوله : " كان رئيسا يبسا، طاغية جبارا شجاعا، داهية، حازما، جلدا شديد الأمر، سديد الرأي، بعيد الهمة، مأثور الإقدام، شره السيف... ". [5]

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 113.

(2) محمد عبد الله عنان : المرجع نفسه، ص 121.

(3) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ص 450.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 265.

(5) ابن الخطيب : المصدر السابق، ج1، ص 443.

و بوفاة باديس المظفر بالله، اتفق رجال الدولة على تولية حفيده " عبد الله بن بلقين " ، و كان صبيا، و ذلك بسبب حكم أخيه الأكبر " تميم " لمالقة، و لكنّ المعتمد بن عباد حاكم اشبيلية، كان يرقب الأحداث المتوالية على حكم بني زيري منذ وفاة باديس، فاستولى على مدينة " جيان " أحد أهم قواعد مملكة غرناطة، و ذلك سنة (466هـ-1074م) ، ثمّ سار بعد ذلك إلى غرناطة في قوات كبيرة محاولا السيطرة عليها.[1]

لقد ساهم هذا الصراع بين الممالك الإسلامية في تقوية الممالك النصرانية و ازدياد طمعها في السيطرة على بلاد المسلمين في الأندلس، فاستغل بذلك " ألفونسو " هذه الأوضاع و حاول السيطرة على اشبيلية و غرناطة، و انتهى ذلك باستسلام " عبد الله بن بلقين " للملك النصراني ألفونسو، على تعهد أن يدفع له جزية سنوية قدرها عشرة آلاف مثقال من الذهب، و أن يسلم لألفونسو بعض الحصون الواقعة جنوب غربي " جيان "، و لم يكتف " ألفونسو " بذلك فقد انتهى الأمر بسقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة، و ذلك سنة (478هـ-1085م).[2]

يعتبر سقوط مملكة بني مناد البربرية في يد الممالك النصرانية، حدثا هاما بالنسبة لملوك الطوائف، و إدراكه أنّ الممالك النصرانية لا تتوقف عند هذا الحد، بل هو خطر يداهم كل الممالك الإسلامية في الأندلس، فحاولوا تجاوز الفتن بينهم، و لكنّهم فشلوا في ذلك.

ب- دولة بني برزال في قرمونة :

كانت مدينة " قرمونة " منذ أيام هشام المؤيد، بيد حاكمها الحاجب " أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن برزوال "، و المعروف بأبي عبد الله البرزالي، و ينتمي بنو برزال إلى بطن من بطون زناتة من بني يفرن، و كانوا يقطنون بالمغرب بأرض المسيلة و الزاب الأسفل، و هاجروا إلى الأندلس بعد استفحال أمر الفاطميين في بلاد المغرب، و لمّا وقعت الفتنة و تقاسمت الزعامات بلاد الأندلس، و احتفظ كل رئيس بمدينته، دعا أبو عبد الله بن برزوال لنفسه في قرمونة، و ذلك في سنة (404هـ-1013م)،و استبدّ بحكمها، و ضبط شؤونها، و رتب جندها.[3]

و ترى بعض المصادر أنّ عبد الله بن برزوال تميز حكمه بالأمن و الاستقرار، و عامل الرعية بالرفق و العدل فمالت له النفوس، و بايعته بعض المدن المجاورة لمدينته، مثل إستجة و أشونة و المدور و غيرها من البلاد، و أصبحت بذلك " قرمونة " إمارة لها خطرها و أهميتها في تلك المنطقة، و غدت بعد غرناطة ثاني الإمارات البربرية.[4]

(1) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق، ص،ص 145،144.
(2) علي الحجي : المرجع السابق، ص 332.
(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص،ص 268،267.
(4) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 149.

لقد ساهمت قوة و ذكاء عبد الله البرزالي في محالفة ابن عباد له، و مصاحبته ضد أعدائه، و ذلك تحالفا معه ضد بني حمود و أطماعهم، و كان من آثار هذا التحالف أن حارب عبد الله بن برزوال إلى جانب ابن عباد ضد بني الأفطس حاكم بطليوس في حملته ضد باجة سنة (421هـ).[1]

لكنّ هذا التحالف لم يصمد طويلا مع أطماع ابن عباد في السيطرة على مملكة " قرمونة "، فقد تحول ابن عباد إلى مخاصمة بني برزوال، و سير قواته و سيطر على بعض أقاليمها، و استعان بن برزوال بحاكم غرناطة باديس الصنهاجي، و إدريس المتأيد صاحب مالقة باعتبارهم بربر، انتهت مواجهتهم هذه بانتصار البربر و هزيمة الإشبيليين و مقتل أميرهم إسماعيل بن عباد، و استرداد قرمونة، و ذلك سنة(431هـ/1039م).[2]

و لكنّ وفاة أبو عبد الله محمد البرزالي بعد ذلك بثلاثة أعوام سنة (434هـ-1042م)، و ذلك بعد أن حكم " قرمونة " و أعمالها ثلاثين عاما[3]، و خلفه ابنه الأكبر إسحاق بن محمد، و لكنّ أطماع بني عباد استمرت اتجاه " قرمونة "، إلى أن استولى عليها بنو عباد في سنة (459هـ-1067م)[4]، و بذلك انتهت دولة بني برزوال في هذا القطاع من المثلث الأندلسي، و اختفت واحدة من الإمارات البربرية.

و بالإضافة إلى دولتي بني مناد الزيرية في غرناطة و مالقة، و دولة بني برزوال في قرمونة، عرفت منطقة جنوب الأندلس ظهور دويلات بربرية صغيرة كثيرة، و لكنّها ليست بحجم هاتين الدولتين، و نذكر منها : دولة بني يفرن في رندة، و كذا دولة بني دمّر في مورون و كذا دولة بني خزرون في أركشن...، و غيرها من الدويلات البربرية التي عرفت انتشارا على عهد ملوك الطوائف.

3- دول الفتيان الصقالبة في شرقي الأندلس :

أ- مملكة ألميرية :

بعد ظهور الفتنة القرطبية، خرج الفتيان الصقالبة قاصدين شرقي الأندلس، و كان من أهمهم خيران العامري، الذي سار بجمع من الفتيان الصقالبة إلى" أريولة " فاستولى عليها، ثمّ توسع إلى مدينة "مرسية" عاصمة تدمير، فأخضعها لسلطانه سنة (403هـ)، و خرج منها باتجاه " ألمرية "، و انتزع ألمرية و ضمها لحكمه و ذلك سنة (405هـ-1014م)،و أصبحت منذ ذلك التاريخ " ألميرية " قاعدته الرئيسية و عاصمة ملكه.[5]

استقرّ " خيران العامري " في ألمرية و بسط حكمه على أعمالها، و كانت إمارة ألمرية تشمل في تلك الفترة المنطقة الممتدة من شاطئ إسبانيا الشرقي الجنوبي، على هيئة مثلث كبير، و غربا حتّى حدود مملكة غرناطة،

(1) ابن الخطيب : أعمال الأعمال، ص 237.
(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 151.
(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 312.
(4) ابن الخطيب : أعمال الأعمال، ص 236-238.
(5) المصدر نفسه، ص 193.

و قد عرف حكمه استقرار الأوضاع و قوة البلاد، و قد توفي خيران العامري سنة (419هـ-1028م)، فاجتمع رجال الدولة، و على رأسهم الوزير أحمد بن العباس، و اتفق الجميع على تولية " زهير العامري " أخو خيران العامري.[1]

و كان " زهير العامري " يكنى بأبا القاسم، و هو من أهم الفتيان العامريين و أشدهم بأسا، و قد كانت مملكة ألمرية على عهده تمتد من ألمرية حتّى شاطبة شرقا، و تمتد شمالا حتّى جيّان و يبّاسة، و حتّى أعمال طليطلة، و لكنّ محاولة زهير العامري لغزو غرناطة ساهمت في تراجع مكانة مملكته بألمرية، لما تلقاه من هزيمة على يد قوات " باديس " حاكم غرناطة، و ذلك سنة (429هـ-1038م)، و الذي انتهت بمقتل زهير العامري و أسر و قتل وزيره ابن عباس أيضا.[2]

بمقتل زهير العامري و وزيره ابن عباس فقدت مملكة ألمرية قوتها و هيبتها، فكتب أهل ألمرية إلى عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية يستدعونه لحكم مدينتهم، بصفته صاحب الحق الشرعي في إرث الفتيان العامريين، فبادر على إثر ذلك عبد العزيز إلى دخول ألمرية، و بايعه أهلها سنة (429هـ)، و ترك عليها واليا من قبله و هو صهره " أبو الأحوص معن بن صمادح التجيبي "[3]، فكانت ولايته إيذانا بتحول مملكة ألمرية إلى حكم وعهد " بني صمادح التجيبيين ".

مملكة دانية و الجزائر :

قامت مملكة دانية أيام الطوائف، وكانت تتميز بموقعها المنعزل في شرقي الأندلس، وتمتد رياستها عبر البحر إلى الجزائر الشرقية، وقد كان ملكها من نصيب الفتيان العامريين، حكمها منهم مجاهد العامري في أوائل عهد الفتنة، و قد كان من أهم الفتيان العامريين، و كان معظم أولئك الفتيان من الصقالبة.

لم يتوقف " مجاهد العامري " عند حدود مملكته بل عمل أيضا على فتح جزيرة " سردانية "، و ذلك سنة (406هـ-1015م)، و غلب على معظم أنحائها، و قد عمد " مجاهد العامري " إلى تنظيم شؤون مملكته، و قد توفي " مجاهد العامري " سنة (436هـ-1044م)، بعد أن حكم مملكة دانية و الجزائر زهاء ثلاثين عاما، ساد فيها النظام و الأمن و الرخاء، و كان " مجاهد " يُكنى بأبي الجيوش، و في بعض الروايات بأبي الحسن، و يلقب من الألقاب " بالموفق ".[4]

و خلف " مجاهد العامري " في مملكة دانية و الجزائر، ولده علي الملقب بإقبال، الدولة، و الذي عمل على اتباع سياسة أبيه اتجاه رعيته، و عرفت مملكته استقرارا على عهده أيضا، و استمر في حكمه زهاء ثلاثين

(1) ابن الخطيب : الإحاطة، ج1، ص 525.
(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 163.
(3) المرجع نفسه، ص 164.
(4) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 200.

عاما، حتّى عرفت مملكته غزوا من طرف بني هود حكام سرقسطة، و انتهت هذه الأعمال بسقوط دانية في يد المقتدر بن هود في سنة (468هـ)، و أعلن المرتضى استقلاله، و استبدّ بحكم الجزائر.[1]

رابعا : النظام السياسي و الإداري.

أ- الحياة السياسية :

يعتبر عصر ملوك الطوائف بالأندلس من أكثر الفترات التاريخية في الأندلس تسارعا في الأحداث السياسية، و ذلك بسبب انتقال الأندلس عموما من الوحدة السياسية على عهد حكم بني أمية إلى التمزق السياسي، و ظهور دويلات و ممالك كثيرة أخذت تتنافس فيما بينها على التوسع الجغرافي، و السيطرة السياسية.

و قد عرف الأندلس و تاريخه السياسي في عهد ملوك الطوائف تمزقا سياسيا، حيث بلغ عدد الممالك ما يقارب ثلاثة و عشرون دويلة أو مملكة، و قد ظهر حكام هذه الإمارات على الساحة السياسية بالأندلس منذ عهد الخلافة الأموية.

لقد عرف النظام السياسي و التطورات السياسية في الأندلس عصر ملوك الطوائف، تنافسا على النفوذ و السلطة، ساهم بدوره في العداء السياسي و ظهور الصراع العسكري و الحروب و الغزوات بين الممالك، و هو المظهر السياسي السائد في هذه الفترة التاريخية، فقد زال حكم بني حمود على يد بني زيري و بني عباد، كما ساهم ذلك في ظهور أطماع الممالك النصرانية، و سيطرتها على إمارة بني ذي النون في طليطلة، و إمارة بلنسية و غيرها.[2]

فمن أولى مظاهر النظام السياسي في الأندلس على عهد ملوك الطوائف، أنّ هذه الممالك و الدويلات لم تضع في سياستها سواء في علاقتها ببعضها البعض، أو في علاقتها بشعوبها بسياسة إسلامية تقوم على شأن رفع الإسلام و توسيع نفوذه، و محاربة المسيحيين في الشمال، و التضحية بالأهداف الثانوية تجاه هذا الهدف السامي الذي عاش له أمراء و خلفاء بني أمية.[3]

كما أنّ ملوك الطوائف لم يقيموا سياستهم على أساس التعايش السلمي بين بعضهم البعض، و مراعاة ضعف و صغر حجم هذه الدويلات أمام تكالب الممالك المسيحية عليهم، بل ذهبوا إلى سياسة التفرقة و العداء، بل غلبت الأطماع الشخصية و حب الرئاسة على الجميع، كل هذا جعل الدويلات القوية تعمل على الاستحواذ على الممالك الصغيرة، و هو ما جعل عصر ملوك الطوائف، لم يكن هناك إلّا سياسة واحدة بنى

(1) المرجع نفسه، ص 201.

(2) إبراهيم بن عطية الله بن هلال السُلمي : العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان-دراسة سياسية حضارية- دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف : سعد بن عبد الله البشري، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، 1430هـ، ص 75.

(3) المقري : نفح الطيب، ج1، ص 438.

عليها ملوك الطوائف سياستهم، و هي سياسة التوسع على حساب القوى المجاورة بكل الوسائل الممكنة، سواء كان ذلك عن طريق الحرب أو المؤامرات و التحالفات.[1]

و قد كان لطبيعة دول الطوائف و تكوينها السياسي، أثر كبير في اتباع تلك السياسة، فهي في الواقع لم تكن دولا كبيرة، بل كانت أقرب منها إلى أسر قوية ذات عصبية معينة، و من ثمّ فهي لم تكن بها حكومات منظمة بالمعنى الصحيح، و التي تعمل على مصلحة شعوبها و مصلحة مستقبل الإسلام في بلاد الأندلس، و إنّما كانت أسر و زعامات تعمل أساسا لتطبيق سياسات تسعى على خدمة مصالحها الشخصية، و تدعيم سلطانها.[2]

و لذلك فإنّ أهم مظهر للحياة السياسية بالأندلس عصر ملوك الطوائف، هو الصراع و الحرب التي عرفت انتشارا لها في مختلف مظاهر الإحتكاك بين دويلات الطوائف، و لم تكن سياسة الصراع هذه، صراعا حزبيا أو عرقيا، كالصراع بين العرب و البربر، لأنّ الأحداث التاريخية في عصر ملوك الطوائف تبيّن أنّ البربر حاربوا بعضهم بعضا، و كان بربر زناتة لا يثقون في بربر صنهاجة، كما حارب العرب بعضهم بعضا، مثل الصراع بين بني عباد في اشبيلية و بين بني جهور حكام قرطبة.[3]

و لم تعرف أيضا الحياة السياسية على عهد ملوك الطوائف، وجود أساس شرعي محدد لحكم هؤلاء الملوك و الأمراء المتصارعين، فقد كان كل منهم يرى نفسه أحق بالحكم لإقليمه ما لم يظهر الحاكم الشرعي، فقد أقاموا لأنفسهم خلفاء، و استتر بعضهم وراء خلفاء بني أمية الأواخر الضعاف.

و قد لجأ ملوك الطوائف لتدعيم نفوذهم السياسي بالاستعانة بالسلطة الدينية، ممثلة في رجال الدين من الفقهاء و العلماء، ليصبح بذلك الفقهاء أكبر حليف للملوك و الأمراء، و يضعون فتاواهم الفقهية في خدمة السلاطين، تأييدا لظلمهم و جورهم باسم الشرع حتّى زاد تفرقهم و صراعهم.[4]

إنّ المتتبع للتاريخ السياسي لعصر ملوك الطوائف، يرى أنّه تميز بسياسة داخلية بين ملوك الطوائف عرفت حروبا مستمرة ضد بعضهم البعض بمساعدة الجند المرتزقة، و كذا نصارى الشمال، بهدف المصالح الشخصية فقط لا غير.

أمّا بالنسبة للسياسة الداخلية لكل مملكة، فلم يكن ملوك الطوائف موفقين في علاقاتهم مع رعاياهم في أغلب الأحيان، أو في سياساتهم الداخلية، إذ لم تنجو أسرة واحدة من الأسر الحاكمة من الصراع الداخلي بين

---

(1) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين، ترجمة : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996، ج1، ص،ص 31،30.

(2) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق، ص 275.

(3) رجب محمد عبد الحليم: المرجع نفسه، ص 276

(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 125.

أفرادها على كرسي الحكم، و لذلك لم يكن هناك استقرار سياسي يمكّنهم من حفظ أمن و استقرار رعاياهم و الحفاظ على ملكهم من الخطر الخارجي، و قد كان هناك أمل في أن يقوم بنو حمود بصفتهم أدارسة حسينيون من آل البيت، بأن يسدوا الفراغ السياسي الذي نجم عن سقوط الخلافة الأموية، إلّا أنّ الصراع الداخلي بين أفراد الأسرة الحمودية لم يمكّنها من تحقيق هذا الهدف.[1]

و لم ينجو أيضا بنو زيري أمراء غرناطة من هذا الصراع و الفتنة الداخلية، إذ ظهر الانقسام بين أفراد الأسرة الزيرية عقب وفاة " حبوس بن ماكسن " الذي كان قد تولى حكم غرناطة عقب رحيل زاوي بن زيري عنها في عام (410هـ)، و كان حبوس قد قسّم أعمال غرناطة على أقاربه و بني عمومته من بربر صنهاجة، حتّى تفرّق الحكم بينهم، و أصبح لكل منهم أجناده و حكومته، و هو ما ساهم في ظهور بوادر التفرقة السياسية و الصراع العسكري بين حكام غرناطة أنفسهم.

و يبدو أنّ هذه السياسة التي انتهجها ملوك الطوائف باستعانتهم بالنصارى ضد بعضهم البعض، قد أتاحت الفرصة للأعداء للوقوف على عورات المسلمين و مواطن الضعف فيها، و امتدت آمالهم إلى التغلب عليها إذا لم يقف أحد لصدهم، لكنّ ملوك الأندلس و أمرائها لم يكن يهمهم سوى تحقيق أطماعهم و تلبية رغباتهم حتّى و لو كان ذلك على حساب مصلحة الإسلام و المسلمين.

ب- العلاقات الخارجية لدويلات الطوائف :

لقد كانت الأوضاع الداخلية السائدة في الأندلس عصر ملوك الطوائف، و ما يقابلها من أوضاع تشهدها الممالك الاسبانية النصرانية، تبيّن مدى ما كان في الأولى من ضعف و ما كان في الثانية من قوة، و لم يكن الضعف عند المسلمين في نقص عُدّة أو عتاد، بل يرجع أساسا إلى انقسامها إلى ممالك عديدة، و الصراع الذي نشب بينها، و من ترف حكامها، و من تحالفات بعض ملوك الطوائف مع الملوك النصارى ضد الممالك الإسلامية.[2]

و لم تكن قوة اسبانيا المسيحية ناتجة عن ازدياد الأموال أو الجيوش، و لكنّها ناتجة عن روح المقاومة، التي عرفتها بعد الفتنة القرطبية و سقوط خلافة بني أمية في الأندلس، حيث استطاعت هذه الممالك المسيحية أن تستغل الاضطراب و الفوضى التي عرفتها الممالك الإسلامية، و أن تضرب بعضها ببعض[3]، و أن تجعل من زعمائها مجرد تابعين يدفعون الجزية عن يد و هم صاغرون، و استولت على العديد من المدن، و تحكمت في تحديد طبيعة علاقاتها السياسية و العسكرية مع الدول و الممالك الإسلامية.

(1) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق، ص 288.

(2) المرجع نفسه، ص 332.

(3) المرجع نفسه، ص 288.

لقد ساهمت أوضاع بلاد الأندلس على عهد ملوك الطوائف، و ما عرفته من انقسام سياسي بين الممالك الإسلامية، في عدم وجود سياسة موحدة اتجاه الممالك النصرانية و أصبحت العلاقات الخارجية لدول الطوائف مع هذه الممالك النصرانية، تخص كل مملكة على حدا، و منه فإنّ دراسة العلاقات الخارجية لممالك الطوائف، يدفع بنا إلى تحديد علاقة كل مملكة مع الممالك المسيحية، و منها نجد :

- علاقات مملكة الثغر الأعلى بالممالك الاسبانية :

تعتبر مملكة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى من أعظم ممالك الطوائف و أهمها، عرفت علاقتها بالممالك النصرانية صداقة، فقد بالغ " المنذر بن يحي " حاكم سرقسطة في التودد لملوك النصارى المجاورين له، و رغم ما أثارته هذه العلاقة من النقد الحاد، إلّا أنّها في النهاية وفرت السلام و الهدوء لإقليم سرقسطة، و لم يدرك الرعايا أثر هذه السياسة التي انتهجها المنذر مع الملوك النصارى إلّا بعد وفاته سنة (414هـ).[1]

و قد خلفه ابنه يحي المظفر (414هـ-420هـ/1023م-1029م) في حكم سرقسطة، و لم يتبع سياسة الصداقة التي كان ينتهجها أبوه مع جيرانه أمراء برشلومنة، و هو ما أدّى إلى دخوله في صراع عسكري مع هذه الممالك، و خسر جزءا من مملكته.[2]

- علاقة مملكة بلنسية بالممالك النصرانية :

لم تعرف مملكة بلنسية استقرارا سياسيا على عهد ملوك الطوائف، فقد تعاقب على حكمها الفتيان العامريان " مبارك و مظفر "، و ذلك حتّى عام (411هـ)، ثمّ استقلّ بها أحفاد المنصور بن أبي عامر حتّى عام (457هـ-1065م)، ثمّ صارت تابعة لبني ذي النون و يحكمها أحد أتباعهم، و خلال هذه التقلبات السياسية ظهرت الأطماع المسيحية في السيطرة عليها، خاصة من ملوك " أرغونة و قطلونية و قشتالة "، و هو ما سيحدد طبيعة العلاقات السياسية بين مملكة بلنسية الإسلامية و الممالك المسيحية المجاورة.

تعود بدايات العلاقة السياسية بين بلنسية و الممالك النصرانية إلى فترة الحكم العامري لها، حيث عقد الفتى " لبيب العامري " صاحب طرطوشة الصداقة مع ملك برشلونة " رامون بوريل الثالث "، ممّا أعطى الفرصة لهذا الملك من التدخل في شؤون " بلنسية " بصورة واضحة، فقام أهل " بلنسية " و عقدوا البيعة لأحد أحفاد المنصور ابن أبي عامر، و هو عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول (411-452هـ/1021-1061م).[3]

(1) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 177.

(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 288.

(3) رجب محمد عبد الحليم : المرجع السابق، ص 353.

و في عهد ابنه و خلفه عبد الملك المظفر (452-457هـ/1061-1065م)، تعرضت مملكة بلنسية لهجمة شرسة من فرديناند ملك قشتالة عام (457هـ)، و يبدو أنّ تلك الهجمة كانت نتيجة لسوء معاملة النصارى في بلنسية.[1]

- مملكة طليطلة و علاقاتها بالممالك النصرانية :

لم تكن طليطلة أقل أهمية من مملكة سرقسطة، فقد عُرفت كقاعدة للثغر الأوسط، و لها حدود واسعة مع مملكة قشتالة و ليون، و يزيد من أهميتها الإستراتيجية توسطها ممالك الأندلس باعتبارها دار ملك القوط قبل الفتح الإسلامي، لذا كان الصراع الإسلامي النصراني على أشدّه من أجلها، و هو ما ساهم في تحديد طبيعة العلاقات الخارجية لمملكة " طليطلة " مع الممالك النصرانية.

انتقل الحكم في " طليطلة " إلى " يحي بن سماعيل " و تلقّب " بالمأمون "، غلبت صورة الحروب و الصراعات على عهد المأمون، و كان سببها الرئيسي التوسع على حساب الإمارات الضعيفة المجاورة حينا أو التدخل لمساندة حلفائه و تحقيق مبدأ التوازن في القوة حينا آخر، و كانت هذه السياسة المتبعة، تقتضي إقامة علاقات متينة مع ملوك النصارى في شمال إسبانيا، بدفع الجزية لهم و الاعتراف بسيادتهم عليه حتّى يتفرغ لمحاربة المسلمين بدل الممالك النصرانية.[2]

عرفت السنوات الأولى من حكم يحي بن إسماعيل بن ذي النون، حروبا طاحنة واجه خلالها أطماع سليمان بن هود على أطراف مملكته، و في نفس الوقت لم يكن باستطاعة المأمون بن ذي النون أن يحارب خصمين في آن واحد، ابن هود من الشرق و ابن عباد من الغرب، و رأى أنّ محالفة المعتضد بن عباد ملك اشبيلية قد تجعل منه عونا له على أعدائه.[3]

تعتبر أطماع ابن عباد في السيطرة على أغلب الممالك الإسلامية على عهد ملوك الطوائف، و خاصة المجاورة لإشبيلية، إضافة إلى الأطماع الشخصية لملوك الطوائف الإسلامية، و تغليب مصالحهم الشخصية على خدمة المسلمين في الأندلس، سببا رئيسيا في عقد أغلب ملوك الطوائف لعلاقات صلح و تعاون مع الممالك النصرانية.

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 224.

(2) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 33.

(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 220.

الفصل الثاني

اشبيلية و قيام مملكة بني عباد

أولا : الجغرافيا التاريخية لمملكة اشبيلية.

1- الموقع الجغرافي :

أصل تسمية " إشبيلية " أشبالي و معناها المدينة المنبسطة، بناها يوليوس قيصر، و كان سبب بنائها أنّه عندما دخل الأندلس وصل إلى منطقة إشبيلية فأعجبه موقعها، فقام ببناء المدينة على النهر الكبير، و قام ببناء قصبتين جميلتين تعرفان باسم الخوين، و كانتا في وسط المدينة و جعلها أم قواعد الأندلس، و اشتق لها اسما من اسمه فسماها رومية " يوليوس ".[1]

" إشبيلية " مدينة قديمة، سماها الرومان أشبانية، و فسّر المقري سبب تسميتها بهذا الاسم إلى ملك عجم رومة و اسمه " أشبان بن طيطش "، و هو الذي أول من أسس موقع " إشبيلية "، و منه فاسم " اشبيلية " نسبة إلى أشبان بن طيطش فهي الأقرب للّفظ و المعنى، و يرى ابن عذارى أنّها كانت دار الروم قبل غلبة القوط. و في العهد الإسلامي عرفت منطقتها بحمص، لأنّها تشبه حمص الشام في مناخها و هوائها، و بسبب قدوم جند حمص إليها و استقرارهم بها.

أمّا عن الموقع، فتقع قريبة من البحر غربي الأندلس إلى الغرب من قرطبة، و تبعد عن عاصمة الخلافة الأموية قرطبة، مسيرة ثلاثة أيام كما جاء في المصادر، و هو ما يقدر بحوالي تسعين ميلا، و هي تقع على النهر الكبير بالأندلس، الذي يمر من قرطبة، أي أنّ اشبيلية تقع على الضفة الغربية للنهر الكبير، و هو النهر الذي جعل من سكان اشبيلية يتمركزون به لكثرة تجارتهم خاصة تجارة الزيت.[2]

2- الفتح الإسلامي لإشبيلية :

فتح المسلمين اشبيلية على يد موسى بن نصير، في رمضان السنة (93هـ-712م)، و بعدها اتجه إلى فتح باقي المدن الأندلسية القريبة منها، ولكن بعد خروجه منها ثار أهلها النصارى على المسلمين، و لكن المسلمون استرجعوها، على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي دخلها من جديد و فتحا مرة ثانية، و منه كانت اشبيلية أول المدن الأندلسية التي اتخذها المسلمون قاعدة لهم، و عيّن موسى بن نصير ابنه عبد العزيز بن موسى بن نصير واليا عليها، و ذلك لاتصالها بالبحر و اتخذها قاعدة له، و قتل عبد العزيز و هو واليا عليها.[3]

(1) ياقوت الحموي : معجم البلدان، دار صادر، بيروت، مج1، ص 195.

(2) أحمد المقري : نفح الطيب، ج1، ص 157.

(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص 14.

بعد أن قتل عبد العزيز بن موسى بن نصير نقل المسلمون عاصمتهم منها إلى اشبيلية، و ذلك سنة (99هـ-717م)، و منها أصبحت قاعدة الخلافة الإسلامية في الأندلس هي قرطبة، و لم يتغير الوضع السائد في " اشبيلية " عند قيام دولة بني أمية، فقد بقيت مثلها مثل مختلف المدن الأندلسية تتبع قرطبة، في حكمها و إدارة شؤونها الداخلة و الخارجية، و تعيين الولاة و الحكام و القضاة و الدفاع عنها في حالة تعرضها لأيّ هجوم خارجي.[1]

و يحيط بإشبيلية أسوار منيعة لحمايتها من أيّ هجوم خارجي و قد شيدت زمن الرومان، و لكنّها مع مرور الوقت و طول الزمن تهدمت و تصدعت لكثرة السكان الوافدين عليها، و قد كانت اشبيلية من أولى المدن الأندلسية التي اهتم المسلمون بترميم أسوارها[2]، بهدف تحصينها من كل الجهات ضد هجمات الأعداء، و لم تحصّن إشبيلية من الخارج بتلك الأسوار فقط، بل أنشئت فيها أيضا دور لصناعة السفن و المراكب البحرية و الآلات الحربية المختلفة، فقد أمر عبد الرحمن الأوسط (206-238هـ/822-852م)، بإقامة دار صناعة بإشبيلية و إنشاء المراكب، و استعان برجال البحر و سواحل الأندلس و موقعها الجغرافي.

و بذلك أصبحت إشبيلية مدينة عسكرية من الدرجة الأولى، فهي محاطة بالأسوار المحصنة من الخارج، و نظرا للمناعة و الحصانة التي تمتعت بها اشبيلية، فقد اتُخذت قاعدة للأساطيل الإسلامية في الأندلس للدفاع عن السواحل الأندلسية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي، و قد بقيت الأساطيل الإشبيلية محتفظة بقوتها طوال فترة الخلافة الأموية، و زادت قوتها و أهميتها في عهد بني " عباد "، فقد اهتم بنو عباد بالبحر و تحصين مدينة اشبيلية، عاصمة دولتهم، و تشير المصادر أنّ معظم هذه القوة البحرية لإشبيلية قد دمرت عند دخول المرابطين للأندلس.[3]

من أشهر الأقاليم التابعة لإشبيلية هو " جبل شريف البقعة "، تربته خصبة، قاتمة اللون، و يكثر به الزيتون، و يبعد عن اشبيلية ثلاثة أميال، و سبب تسميته بالشرف، لأنّه مشرف من ناحية اشبيلية و كأنّه تاج عليها، ممتد من الجنوب إلى الشمال و ترابه خصب لونه أحمر.[4]

و بسبب الموقع الجغرافي لمدينة اشبيلية تكّون اقتصادها من عدّة موارد نظرا لمواردها الطبيعية، و ذلك بسبب وفرة مياه أنهارها، و هي كذلك مدينة زراعية نظرا للظروف الملائمة للزراعة و لخصوبة التربة و اعتدال

(1) فلنتينا سليمان عفانة : مملكة إشبيلية زمن بني عباد و علاقاتهم الداخلية و الخارجية (414-484هـ/1023-1069م)، إشراف الدكتور : هشام أبو رميلة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2002، ص 19.

(2) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع نفسه، ص 20.

(3) الحميري : صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تعليق : ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988، ص،ص87،88.

(4) الحموي : معجم البلدان، مج3، ص 336.

المناخ، و هو ما جعلها تتكون من عدة قرى تابعة لها، فتشير المصادر أنّها أصبحت على عهد " بني عباد " مملكة مستقلة تتبعها قرى كثيرة.

3- السكان :

تقع مدينة اشبيلية كما صنفها ابن خلدون ضمن إقليم معتدل، أثّر على حياة أهل إشبيلية و أشكالهم و أجسامهم، مما جعلهم مختلفون في طباعهم و عاداتهم و تقاليدهم عن غيرهم من الأندلسيين " فسكانها من البشر أعدل أجساما و ألوانا و أخلاقا و أديانا... و أهل هذا الإقليم أكمل لوجود الاعتدال لهم فتجدهم في غاية التوسط في مساكنهم و ملابسهم و أقواتهم و صنائعهم... و لهذا الاعتدال تأثير على أمزجتهم، فنجدهم يبتعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم... و هم في غاية الاعتدال في خَلقهم وخُلُقِهم ما اقتضاه مزاج أهويتهم". (1)

أمّا بالنسبة للكثافة السكانية في إقليم إشبيلية، فقد اختلفت الكثافة السكانية تبعا لعوامل طبيعية و بشرية و دينية مختلفة، حيث كانت إشبيلية ذات كثافة سكانية عالية، و ترجع أسباب الكثافة السكانية في إشبيلية إلى توافر الظروف الملائمة للنشاط البشري، كاعتدال المناخ و وفرة المياه و خصوبة التربة، إضافة إلى أنّها من أوائل المدن و الأقاليم التي افتتحها المسلمون، مما ساهم في كثرة انتشار السكان فيها.

و قد تكونت اشبيلية من مزيج مختلف من العناصر البشرية السكانية التي أثرّت في بيئتها الاجتماعية و أوضاعها الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية، و من أوائل العناصر البشرية التي استقرت في اشبيلية، العرب الذين دخلوا مع موسى بن نصير و عُرفوا باسم " البلديين "، و الأفواج التي دخلت مع " بشر القشيري " و عُرفوا بالشاميين، أمّا انساب العرب و منازلهم فقد اختلفت و تعددت في اشبيلية، فمنهم بنو زهرة و بنو عباد حكام إشبيلية فيما بعد و غيرهم من العرب.(2)

و يوجد بإشبيلية أيضا " المولّدون " بكثرة، و هم الذين ولدوا لآباء مسلمين و أمهات إسبان، و اعتنقوا الدين الإسلامي و تمتعوا بمكانة مرموقة في اشبيلية و الأندلس ككل، و أصبحت لهم مكانة مرموقة في المجتمع الأندلسي المسلم(3)، كما كثرت في اشبيلية فئة المستعربين، و هو كما أشرنا في الفصل التمهيدي، لفظ يطلق على نصارى الإسبان الذين تعربوا و أقاموا مع العرب و بقوا على عقيدتهم، و قد سمح لهم أيضا المسلمون بممارسة عقيدتهم و طقوسهم الدينية تحت راية المسلمين، و كان لهم قاضي النصارى، أمّا البربر فهم عنصر رئيسي و مكون هام في مدينة إشبيلية، رغم أقليتهم، و هناك العبيد أيضا في اشبيلية و الذين انتشروا في إقليم

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 31.

(2) المقري : نفح الطيب، ج1، ص 284.

(3) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 32.

اشبيلية عن طريق أسواق النخاسة، و كذا الصقالبة الذين أسروا من الحروب التي خاضها المسلمون في الأندلس.[1]

و قد ظهر نجم بني عباد كأسرة في المجتمع الأندلسي عموما، و في مدينة و إقليم إشبيلية من ضمن العرب المتواجدين في المنطقة، منذ أيام الفتنة البربرية التي عرفتها قرطبة، و ذلك على يد جدهم أبي الوليد إسماعيل قاضي اشبيلية، و قد كان تقلّد قبل انهيار الخلافة عدة وظائف، كان نهايتها توليه قضاء اشبيلية.[2]

و قد ذكر ابن حيان عن هذه الأسرة و أهميتها في مجتمع إشبيلية : " ثم انتقلوا إلى إشبيلية فنموا، و تصدروا للوجاهة و النباهة في دولة الحكم المستنصر بالله و دولة ابنه هشام و حاجبه المنصور، و قد كان نشأ فيهم صدر بيتهم و مؤسس مجدهم إسماعيل بن عبّاد، فقدّمه المنصور على خطة القضاء بها، فاتصل استعماله إلى زمن انقراض الإمامة الأموية.[3]

ثانيا : الحياة السياسية في اشبيلية قبيل حكم بني عباد.

1- محاولات اشبيلية للانفصال عن قرطبة :

عُرف سكان إشبيلية في تاريخ الأندلس الإسلامي بكثرة ثوراتهم، و عدم خضوعهم و ولائهم لحاكم معين، و ما إن يعينوا و يتفقوا على حاكم معين إلّا و نراهم بعد حين يثورون ضده، و يرفضون الخضوع لأمره، فهم بذلك يبحثون دائما عن الاستقلال الذاتي بشؤونهم الداخلية، و يؤيد ذلك كثرة الثورات المتعاقبة التي ظهرت في اشبيلية، و أثناء الوجود الإسلامي في الأندلس، و لعلّ المكانة التاريخية لإشبيلية كانت تدفع بسكانها للاستقلال و عدم التبعية لقرطبة.

و قد اندلعت أولى الثورات في اشبيلية ضد " عبد العزيز بن موسى بن نصير " و انتهى أمرها بقتله سنة (97هـ-716م)، بالرغم مما حققه من إنجازات لإشبيلية حيث اتخذها عاصمة له، و بعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير تعاقب على حكم اشبيلية ولاة كثر، ثمّ تمّ نقل الإمارة من إشبيلية إلى قرطبة و بذلك حلّت قرطبة محل إشبيلية في الإمارة.[4]

و بعد ذلك تمتعت إشبيلية بحكم مركزي مباشر على اعتبار أنّها أكبر و أهم المدن الأندلسية بعد قرطبة، و لأنّ الدولة الإسلامية كانت حديثة النشأة و التطور كان والي إشبيلية و قرطبة واليا واحدا، و كانت قرطبة تعطي أولوية كبيرة لكل الولاة الذين يحكمون إشبيلية نظرا لأهميتها، و هذا كله خلال عصر الولاة بالأندلس ،

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع نفسه، ص 33.
(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 33.
(3) علي الحجي : التاريخ الأندلسي، ص 387.
(4) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 37.

و لكنّ هذا الهدوء لم يستمر طويلا في عصر الولاة، إذ شهدت إشبيلية حروبا و خلافات بين القيسية و اليمنية.[1] و لم تهدأ النزاعات في إشبيلية بين القيسية و اليمنية إلاّ بعد تولية " يوسف بن عبد الرحمن الفهري" واليا على الأندلس سنة (129-138هـ)، و كان قيسيا، و ذلك مقابل تولية " يحي بن حريث الجذامي " زعيما لليمنية، لولاية كورة رية.[2]

و لكنّ بدخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك " صقر قريش " إلى الأندلس عام (138م)، رحبت به إشبيلية و سكانها من اليمنية و أمدوه بالإمدادات اللّازمة، حيث خرج معه من أهل إشبيلية ثلاثة آلاف فارس، و انتصر" صقر قريش و جنده " و استقر بحكمه في اشبيلية.

تمتعت اشبيلية في عهد عبد الرحمن الداخل بالاستقرار و الهدوء و الرخاء، لكن ذلك لم يستمر طويلا، إذ لم تلبث أن شقت إشبيلية عصا الطاعة، فظهرت فيها الكثير من الثورات، ففي سنة (149هـ) ثار والي اشبيلية و زعيم اليمنية في غرب الأندلس أبو الصباح بن يحي الحيصي، و كان لديه نية التخلص من الأمير عبد الرحمن الذي قام بعزله عن ولاية إشبيلية لمّا علم بذلك، و هدأت إشبيلية بعد ذلك سبع سنوات، و لكنّها لم تلبث أن ظهرت ثوراتها مرة أخرى سنة (156هـ)، و هكذا هدأت أحوال اشبيلية و استقرت ثوراتها في عهد خلفاء عبد الرحمان الداخل، و لكنّها تجددت مرة أخرى في عهد حفيد عبد الله بن محمد (275هـ-888م) فكانت إشبيلية مسرحا للصراعات بين العرب اليمنية و المولدين، و انتهى الصراع بانتصار العصبية العربية، و لكنّ اشبيلية انقسمت بين بني حجاج و بني خلدون و دخلت في صراع آخر و هو صراع البيوتات و الأسر.[3]

و قد عرفت بعض المراحل التاريخية توطيدا للعلاقة بين اشبيلية و قرطبة، خاصة في عهد بني حجاج، و لم يربط بين اشبيلية و قرطبة في ذلك سوى الطاعة الإسمية و المال الذي كان يدفعه بنو حجاج سنويا تعبيرا عن ولايتهم و إخلاصهم لوالي قرطبة، كما كان لإشبيلية قاض خاص بها منفصل عن قرطبة.

و عقب وفاة إبراهيم بن حجاج (298هـ-911م)، خلفه أمية على ولاية إشبيلية و سار على نفس سياسة أبيه، و خلفه أحمد بن مُسلمة و هو ما اعتبرته قرطبة محاولة من أهل إشبيلية للانفصال و الاستقلال، و لهذا أعدّ الأمير عبد الرحمن جيشا لتأديب أهل إشبيلية و إخضاعها لقرطبة، و قد تمّ له ذلك و قتل أحمد بن مسلمة سنة (327هـ-938م). [4]

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص 33.

(3) العذري ابن الدلائي : ترصيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق : عبد العزيز الأهواني، ص 103.

(4) سالم عبد العزيز : تاريخ المسلمين و آثارهم، ص 270.

بعد أن تمّ للأمير عبد الرحمن إعادة إشبيلية إلى حاضنة الخلافة الأموية، قام بتنظيم أمورها الداخلية، و عمل على تنظيمها من الداخل فوضع واليا جديدا و قاضيا جديدا، و تمّ تعيين " سعيد بن منذر " واليا على اشبيلية، الذي أحسن معاملة أهلها و أحسن علاقتها مع قرطبة في هذه الفترة.[1]

2- اشبيلية و الفتنة البربرية في قرطبة :

لقد شهدت إشبيلية خلال فترة حكم " بن أبي عامر " استقرارا و هدوءا في أحوالها الداخلية، فتحسنت أوضاعها الداخلية و استقرت أوضاعها، و لم تعرف ثورات خلال هذه المرحلة ضد الحكم في قرطبة، و يرجع ذلك للقبضة الحديدية و السياسة الجيّدة التي طبقها و حكم بها المنصور في الأندلس.

و لكنّ بوصول " عبد الرحمن بن المنصور " الذي لُقب " بشنجول " إلى الحكم، و في عهده بدأت الفوضى في الحكم و عند الرعية، بداية من قرطبة عاصمة الخلافة وصولا إلى انتقال ذلك إلى اشبيلية، و بدأ بنو أمية يطالبون بعودة الحكم لهم، و بدأ سكان الأندلس يتمردون، و ثار البربر مستغلين ضعف الحكم، و عمت الثورة في كافة أرجاء الأندلس، و هو ما عُرف في المصادر العربية " بالفتنة البربرية ".[2]

عرفت خلالها إشبيلية حالة من الفوضى و الصراعات السياسية طوال فترة استمرت عشرين عاما (400-420هـ/1009-1028م)، كانت خلالها الخلافة الأموية في قمة ضعفها، فقدت خلالها الخلافة الأموية سيطرتها على اشبيلية، حيث بايع أهل إشبيلية و قاضيها " ابن عباد "، فقد بايعوا " القاسم بن حمود المأمون " الذي أقام في إشبيلية.[3]

و بذلك أعلن بنو حمود عن خلافتين في نفس الوقت، و أصبح في الأندلس خلافتان بعد زوال حكم بني أمية، الأولى في قرطبة، و هي حكم يحي بن علي بن حمود و الثانية في إشبيلية يمثلها القاسم بن حمود، و قد علّق ابن عذارى على ذلك في قوله : " خليفتان و هو أمر لم يسمع بأذل منه على إدبار الأمور ، يحيى بن علي بن حمود بقرطبة و القاسم بن حمود في اشبيلية ".[4]

و لكنّ أهل إشبيلية ثاروا ضده و ضد البربر الذين تحالف معهم، و كانت هذه البدايات الأولى لإعلان قيام مملكة إشبيلية و انفصالها التام عن قرطبة.

(1) ابن الخطيب : أعمال الأعمال، ص 35 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق، ج2، ص،ص 163،164.

(2) ابن عذارى : المصدر نفسه، ج3، ص،ص 72،73.

(3) الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1989، ص،ص 23،24.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 133.

تلاحقت الأحداث بعد ذلك، و ازدادت حدّة الصراع في قرطبة و لم تعد باستطاعتها أن تحكم أقاليمها، فاجتمع أهل قرطبة و شيوخها و أعلنوا نهاية حكم بني أمية في قرطبة، و بدأت بوادر عهد ملوك الطوائف في الأندلس، و بدأ يظهر حكم بني عباد في إشبيلية.

ثالثا : بنو عباد و قيام مملكتهم باشبيلية.

1- ظهور بني عباد في اشبيلية (أصلهم و قيادتهم).

أ- أصل بنو عباد :

كان بنو عباد حسب ما ذهب إليه علماء النسب، ينتمون إلى " لخم "، و مؤسس دولتهم هو القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن قريش بن عباد ابن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم، و عطاف هو جدهم الداخل إلى الأندلس، و أصله من أهل حمص بالشام، لخمي النسب صريحا، و لما دخل إلى الأندلس نزل بقرية " يومين " بقرب بلدة " طشانة " من أعمال إشبيلية، و قد أشارت المصادر إلى نزول جند الشام لأول الفتح باشبيلية أو حمص كما سموها في تلك الفترة.[1]

ثمّ انتقلوا إلى إشبيلية فملكوا أراضيها و أصبحوا من أصحاب الوجاهة و النباهة في دولة الحكم المستنصر باللّه، و دولة ابنه هشام المؤيد و حاجبه المنصور بن أبي عامر، مؤسس هذه الأسرة هو إسماعيل بن عباد الذي عيّنه الحاجب المنصور بن أبي عامر على خطة قضاء إشبيلية، و هم (أي بنو عباد) آخر بيوتات الوجاهة و النباهة في اشبيلية.[2]

و ظهر بنو عباد على مسرح الأحداث في أعقاب الفتنة البربرية على يد جدهم أبي الوليد إسماعيل قاضي إشبيلية، و قد كان تقلّد عدة وظائف قبل انهيار الخلافة الأموية، فتولّى الشرطة عند حكم هشام المؤيد، و وُلّي قضاء إشبيلية، و لمّا اشتدّت الفتنة استغلّ الأوضاع السائدة، ليجمع في يده الرياسة و الحكم شيئا فشيئا بإشبيلية، معتمدا في ذلك على عراقة بيته و رفيع مكانته، و واسع ثرائه، و معاونة زعماء و أكابر إشبيلية له.[3]

و لمّا شعر القاضي ابن عباد بأنّه قد حقق مبتغاه، و وطّد قدمه في الرياسة، و أحسّ بالضعف و العجز يتسلل إلى بدنه، أوكل خطّة القضاء لولده أبي القاسم محمد، في ظل استمرار سلطان الحموديين الذي كان قائما في قرطبة تارة، و في اشبيلية تارة أخرى.[4]

---

(1) ابن الأبار : الحلة السمراء، تحقيق : حسين مؤنس، دار المعارف، ط1، 1963، ص 234.

(2) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 37.

(3) ابن بسام : الذخيرة في محاسن الجزيرة، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1997، قسم2، مج1، ص 14.

(4) ابن الخطيب : أعمال الأعمال، ص 152.

ب- بداية ظهور بني عباد :

يشير أغلب المصادر أنّ أول من تسلم منصب رفيع من بني عباد هو جدهم إسماعيل بني عباد، الذي عيّنه الحاجب المنصور بن أبي عامر على خطة القضاء باشبيلية، و يكنى إسماعيل بني عباد بأبي الوليد، استمرّ في القضاء لفترة طويلة، و قد توفي إسماعيل بن عباد في اشبيلية سنة (414هـ-1023م)، و كان عمره خمسة و خمسين عاما.[1]

عهد إسماعيل بن عباد بأمور القضاء في إشبيلية لابنه " أبي القاسم محمد بن عباد " و جاءه تأكيد رسمي من قرطبة على تعيينه على خطة القضاء في إشبيلية، و أنّ سبب تعيينه في هذا المنصب هو ثقة والي قرطبة به و بأسرته و أبيه من قبله، و وصف بأنّه من أحد الرجال العظام الذين أنجبتهم إشبيلية، عرف بذكائه و دهائه.[2]

كان من أهم الأعمال التي قام بها ابن عباد هو انفراده بالحكم في اشبيلية و فصلها عن عاصمة الخلافة بقرطبة، و لكي يقوم بذلك قام بخطوتين رئيسيتين، و هما :

1- استغلال الأوضاع السائدة في قرطبة و الخلافات الدائرة بين بني حمود فيها على السلطة، فطرد البربر من إشبيلية و أغلق أبوابها في وجه بني حمود.

2- بدأ القاضي ابن عباد بجمع وجهاء إشبيلية و شخصياتها البارزة و قربهم من حوله، بأن أشركهم في اتخاذ قراره بسد أبواب إشبيلية في وجه البربر و طردهم منها.[3]

و منه فلقد استطاع " القاضي بن عباد " بفضل حنكته و ذكائه أن يجمع مختلف شخصيات إشبيلية حوله و يجعلها تعمل لصالحه، و عمل بطريقة غير مباشرة و مع مساندة أهل و زعماء اشبيلية أن يتولى مهام الحكم في إشبيلية، لأنّهم لم يجدوا أفضل منه، فرفض في بادئ الأمر، و لكثرة ما ألّحوا عليه قبل هذه المهمة الجديدة التي أوكلت إليه مع وضعه لشروط لذلك، و من شروطه أن يعيّن مساعدين له.[4] و ذلك لكي لا يظهر أمام سكان إشبيلية بأنّه متفردا بالحكم، كهيئة استشارية، و لقد اختار أهل اشبيلية القاضي عياض للنفوذ الواسع و المنزلة العالية التي يتمتع بها هو و أسرته في مدينة اشبيلية من جهة و من جهة أخرى لأنّه يمتلك أكثر من ثلثي أراضي اشبيلية و محاصيلها و ضياعها و عقاراتها، دون أن ينسى سكان اشبيلية ما يتمتع به القاضي

(1) ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق : محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ، 1974، مج2، ص 108.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 194.

(3) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 53.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص،ص 195،196.

عياض من الصفات القيادية، فهو قاضي قضاء اشبيلية و يدير شؤونها، و ما يتمتع به من دهاء و قدرة على التسيير، و القدرة المادية و المالية التي ستساعده في تسيير شؤون مملكة اشبيلية.(1)

و لكنّه و رغم تقديم أهل إشبيلية للقاضي عياض لحكمهم و تسيير مدينتهم و بالرغم مما قام به من أعمال داخلية، أثبتت قدرته على التسيير الحسن، إلّا أنّ القاضي ابن عباد و من ورائه أسرته الحاكمة أرادوا تأمين حكمهم و إضفاء طابع الشرعية عليه و هي التي يفتقدها.

ج- دور بني عباد لإضفاء الشرعية على حكمهم :

لم تؤكد المصادر خبر وفاة " هشام المؤيد " و لكنّها أشارت إلى بقائه حيا، و مهما اختلفت الروايات التاريخية في بقائه بالأندلس تائها أو خروجه و رجوعه للمشرق بعد سقوط حكم بني أمية في الأندلس، إلّا أنّ القاضي ابن عباد حاول استغلال ظهوره في حصوله على الشرعية في حكم اشبيلية، فاستغل خبر ظهور شبيه لهشام المؤيد في مدينة اشبيلية، فنزل ابن عباد و وزرائه إلى شبيه هشام المؤيد و قلّدوه الحكم بهدف إعلان بيعته، و ما رافق ذلك من استغراب للشخص الشبيه.(2)

و كان أول ما قام به بن عباد و وزرائه اتجاه قصة شبيه هشام المؤيد هو توليته الحكم من طرف الخاصة، ثمّ إعلانه البيعة العامة له و التي تكون في مكان عام كالمسجد مثلا، و التي عادة تجري مراسيمها وفق احتفال رسمي في إحدى قاعات القصر، و البيعة العامة أمام سكان و أهل اشبيلية.(3)

لم يتوقف دهاء و خطة القاضي ابن عباد عند هذا الحد، بل أشار لشبيه هشام المؤيد و بعد مبايعته، أن يعلن بالعهد لابن عباد كتفويض لتنفيذ الأوامر كلها باسمه، مدعيا ذلك بأنّه بأمر من هشام الثاني (المؤيد)، و لقد كانت للقاضي ابن عباد مبررات في خلق هذه القصة و هي إعطاء الشرعية الدينية و السياسية لمملكة إشبيلية أمام العاصمة قرطبة، و ضمان التأييد الشرعي لحكمه، لأنّه أعاد الخليفة الشرعي الضائع للخلافة، و أنّه أوكل له بدوره الخلافة الشرعية.(4)

هذا و من جهة أخرى فقد أعاد الخلافة إلى أصحابها الشرعيين بنو أمية، حيث اشترط بعض الفقهاء لتنصيب الخليفة في الأندلس بعد الفتنة، أن يكون قرشيا، معتمدين على حديث الرسول صلّى الله عليه و سلّم، و بذلك يستطيع القاضي ابن عباد أن يحصل على تأييد عامة الناس الشعبي و السياسي الرسمي و خاصة أمام ملوك الطوائف المجاورة التي تبحث عن الشرعية لحكمها.

---

(1) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 133.

(2) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 54.

(3) المرجع نفسه،ص 55.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 200؛ و ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص 154.

د- تأسيس بني عباد لحكمهم في اشبيلية :

كان القاضي إسماعيل بن عباد يتولّى خطة القضاء في اشبيلية زمن الفتنة في قرطبة، و ذلك منذ أيام المنصور بن أبي عامر، و في غياب سلطة سياسية قوية تنظّم شؤون المدينة و تضبط أمورها، أخذ يعمل على

تأسيس مملكته المستقلة، ليستأثر بحكم المدينة، معتمدا في ذلك على شخصيته و مكانته أمام سكان إشبيلية و التي اكتسبها من مقامه في القضاء، لذلك أقرّه الخليفة " القاسم بن حمود " في منصبه بعدما تولى الخلافة في قرطبة في ذي القعدة (408هـ-1018م).[1]

و لمّا شعر القاضي ابن عباد بأنّه قد حقق مبتغاه، و أحسّ بالضعف و العجز يتسلل إلى بدنه، أوكل خطّة القضاء لولده أبي القاسم محمد، و في ظل استمرار سلطان الحموديين الذي كان قائما في قرطبة تارة، و في اشبيلية تارة أخرى.[2]

كان القاضي ابن عباد يرى أنّ وجود الحموديين في اشبيلية يشكل تهديدا حقيقيا لأطماعه، فقرّر غلق الباب أمامهم، و تمكّن بمقدرته على التفاوض من دفع القاسم بن حمود إلى التخلي عن اشبيلية له مقابل الاعتراف بسلطته عليها و دفع مبلغ من المال، إضافة إلى تسريح ولديه محمد و الحسن، و كي يعبّر عن صدق نواياه، قدّم ابنه عباد رهينة للحموديين، فكسب بهذا العمل تقدير سكان اشبيلية و أعيانها وظهر فضله في صد البرابر عن مدينتهم.[3]

كان القاضي ابن عباد في سنة (414هـ-1023م)، قد تغلب على عدة عراقيل هامة، و استخدم وسائل متنوعة للسيطرة على اشبيلية، فكانت خطته الأولى طرد القاسم بن حمّود، ثمّ سارع إلى إغراء قائد الجيش محمد بن زيري، و وعده بتأميره على المدينة إن شاركهم في التخلص من الحموديين، و هكذا تخطّى العقبة الثانية، ثمّ بدأ يفرض سيطرته على مدينة اشبيلية و ينزع الزعامات، و أصبح مطلق السلطة الفعلية، لا ينقصه إلّا البحث على الشرعية لحكمه، و بذلك يمكن اعتبار القاضي ابن عبّاد المؤسس الحقيقي لمملكة اشبيلية، و عندما توفي سنة (433هـ-1043م)، ترك مملكة مترامية الأطراف، في ظل فراغ الساحة من المنافسين و المناوئين للحكم العبادي.[4]

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 32.
(2) ابن الخطيب : المصدر السابق، ص 152.
(3) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 195.
(4) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 65.

رأى ابن عباد أنّ حكمه للمدينة يفتقد إلى الشرعية، لأنّه لا يتوفر على أية أسس نظرية للحكم، و بهدف كسب تأييد العامة و تأكيد سلطته الداخلية، سارع لتشكيل جيش إشبيلي يخضع لسيطرته المباشرة، و استعمل ثروته الطائلة لتحقيق هدفه، فاشترى العبيد و الجند و المرتزقة، فأنشأ بذلك جيشا من أقوى جيوش الأندلس.[1]

و منه فإنّ القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد، هو المؤسس الفعلي لدولة بني عباد في اشبيلية، و منشئ ملكهم، و على يده اتخذ سلطان بني عباد حكمه، و أصبحت مملكة من ملوك الطوائف، بالرغم من أنّها كانت في البداية تتخذ فقط من الزعامة و الرياسة القبلية شعارا لها.

و قد تولّى الأمر من بعده ولده أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل، و تلقب أولا بفخر الدولة، ثمّ المعتضد بالله، و كان يوم ولايته سنة (407هـ-1016م)، و قد أجمعت الروايات على الإشادة بخصال المعتضد، و صفاته المثيرة معا، و يصفه ابن حيان، بأنّه " زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقته، أسد الملوك، و شهاب الفتنة، و داحض العار، و مدرك الأوتار، و ذو الأنباء البديعة، و الجرائر الشنيعة، و الوقائع المثيرة، و الهمم العلية، و السطوة الأبية ".[2]

و قد استطاع القاضي بن عباد خلال تأسيسه لملكه في اشبيلية أن يجعل من قصة ظهور هشام المؤيد، دافعا لكسب تأييد عامة الناس على المستويين الشعبي و السياسي الرسمي و خاصة ملوك الطوائف المجاورين له، فيظهر بذلك بمظهر البطل الذي أعاد الحق المغتصب إلى أصحابه، فقد أعاد إحياء الخلافة في الأندلس من جديد لبني أمية، كما أصبحت إشبيلية تتمتع بمكانة عالية أمام الممالك الأخرى، و أصبحت مملكة إشبيلية مقرا للخلافة الأموية، و ظهر بنو عباد بمظهر مسترجعي مجد الإسلام في الأندلس.[3]

رابعا : ردود الفعل من قيام مملكة بني عباد في اشبيلية.

1- ردود الفعل الرسمية و الشعبية من قيام حكم بني عباد :

كان القاضي ابن عباد يرى في قصة هشام المؤيد نصرا له و تأكيدا على صحة خلافته في اشبيلية، فهو بذلك يريد من خلالها حكما شرعيا له، و قد ربط أيضا القاضي ابن عباد بين قصة ظهور "هشام المؤيد" و مبايعته بالخلافة و تنازله له عنها، هي نفسها تأسيس مملكة بني عباد في اشبيلية، فأراد من خلال ذلك أن يكون تأييد خلافة "هشام المؤيد " هو نفسه تأييد حكم بني عباد في اشبيلية.

(1) فضيل بو الصوف : المرجع نفسه، ص 66.

(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 40.

(3) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 63.

و لكنّ الردود على ظهور هشام المؤيد و البيعة له، اختلفت بين مؤيد و معارض كل حسب مصلحته، فعلى المستوى الرسمي بين أمراء الأقاليم و الممالك التي ظهرت بعد الفتنة، قام القاضي ابن عباد بإرسال الرسائل و الوفود إلى كل أمراء الأندلس لمبايعة هشام المؤيد، فأجابه أكثرهم و خطبوا له و حددت بيعته في محرم سنة (429هـ)[1]، و خطب على جميع منابر بلاد الأندلس، كما راسل أيضا ابن عباد " ابن جهور "

في قرطبة، فأرسل له الوفود من قرطبة للوقوف على شخص هشام الثاني و التأكد منه، و اختلفت الردود من قصة هشام الثاني بين مؤيد بسبب الخوف من بني عباد و كسب ودّهم، و بين معارض خوفا من حكم بني عباد، و عندما أحس ابن جهور بخطر ابن عباد و أطماعه في ضم قرطبة تبرأ من هشام الثاني و القاضي ابن عباد أيضا.[2]

و بسبب رفض ابن جهور حاكم قرطبة إعطاء البيعة لابن عباد، جهزّ هذا الأخير جيوشه و اتجه نحو قرطبة ليجبر صاحبها على أخذ البيعة له، و بدأ الخلاف بين ابن جهور في قرطبة، و ابن عباد في اشبيلية، بينما نجد أنّ أغلب أمراء الأندلس بايعوا ابن عباد خوفا من سلطته، و حفاظا على ممتلكاتهم و ممالكهم.[3]

أمّا الأمير الوحيد الذي كذّب دعوة ابن عباد بظهور هشام المؤيد، و رفض المبايعة و حتى بعث الوفود لرؤية هشام المؤيد و التأكد منه، هو الأمير زهير العامري صاحب ألمرية، فقد حاول ابن عباد إجباره على أخذ البيعة و لكنّ العامري تحالف مع حاكم غرناطة و رفضا مبايعة هشام المؤيد معا.[4]

هذا على المستوى الرسمي و ردود الفعل من حكم بني عباد و قصة بيعة هشام المؤيد، أمّا على المستوى الشعبي خاصة في مدينة اشبيلية، فلقد لقيت دعوة القاضي ابن عباد تأييدا شعبيا و جماهيريا كبيرا، فقد أيّده أهالي إشبيلية و قرطبة، و أرسلوا الوفود لرؤية هشام المؤيد، و لكنّهم انقسموا بين مؤيد و معارض بعد دخولهم على هشام الثاني المؤيد، و لقد لعب ابن جهور دورا بارزا في تغير موقف أهل قرطبة، حيث نجح في إقناع كثير منهم أنّ الخليفة المزعوم لم يكن سوى شبيه و أنّ اسم هشام ألغي من الإمامة.[5]

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج9، ص 285.
(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 201.
(3) ابن بسام : الذخيرة في محاسن الجزيرة، قسم 2، مج1، ص 18.
(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 201.
(5) دوزي : المرجع السابق، ص 37-38.

كما توافدت الجموع على اشبيلية من معظم أنحاء الأندلس، تعلن مبايعتها و تأييدها للقاضي ابن عباد، و هذا ما شجع ابن عباد و أبنائه على مد نفوذهم على كل غرب الأندلس، لأنّ أهلها كانوا قد أعطوه تفويضا بالموافقة على خلافته على اشبيلية و الأندلس.[1]

2- سياسة بني عباد في اشبيلية و الأندلس :

لقد عمد بنو عباد منذ تأسيسهم لمملكتهم في اشبيلية على بناء سياسة داخلية، في تسييرهم لمملكتهم، ترتبط أساسا بحماية ملكهم و محاولة الحفاظ على استقرارها الداخلي، و مراعاة العلاقة بينهم و بين الرعية من جهة، كسياسة داخلية في اشبيلية، و تطبيق سياسة مناسبة مع مختلف الممالك في الأندلس بهدف جعل اشبيلية هي خليفة قرطبة عاصمة خلافة الأمويين.

بنيت السياسة الداخلية لبنو عباد في مملكتهم من حنكة و دهاء القاضي ابن عباد، فقد كان يرى القاضي ابن عباد في وجود الحموديين في اشبيلية تهديدا حقيقيا لأطماعه، فقرّر غلق باب المدينة في وجههم، و تمكّن بمقدرته على التفاوض من دفع القاسم بن حمود للتخلي عن اشبيلية مقابل الاعتراف بسلطته عليها و دفع مبلغ من المال، إضافة إلى تسريح ولديه محمد و الحسن، و لكي يعبر عن صدق نواياه، فكسب بهذا العمل تقدير سكان اشبيلية و أعيانها و ظهر فضله في صد البرابر عن مدينتهم.[2]

تعتبر هذه السياسة الداخلية التي طبقها القاضي بن عباد منذ بداياته الأولى لتأسيس مملكته، سببا حقيقيا في النجاح الكبير الذي حققه في تجاوز عقبات تأسيس مملكة اشبيلية، خاصة تجاوز خطر البربر.

كان البربر يهددون اشبيلية، و يهددون الأندلس عامة، خاصة بعد أن أصبح لديهم خلفاؤهم و هو بني حمود، و كان على بنو عباد تجاوز الخطر الداخلي لبني حمود.[3]

لقد كان القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد (414-433هـ / 1023-1043م) يعرف حجم المخاطر الداخلية التي تواجه مملكته، فقام بترتيبها حسب الظروف و الحاجة التي كان يخطط لها، فكانت سياسته الداخلية تهدف إلى كسب ودّ الرعية من جهة، و مواجهة خطر محاولات الانفصال من جهة ثانية.[4]

(1) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 38.

(2) فضيل بو الصوف : المرجع نفسه، ص 63.

(3) خالص صلاح : اشبيلية في القرن 5 هـ، دراسة تاريخية لنشوء دولة بني عباد و تطوراتها، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 120.

(4) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 64.

كان القاضي ابن عباد في سنة (414هـ-1023م)، قد تغلب على عدة عراقيل هامة، و استخدم وسائل متنوعة للسيطرة على اشبيلية، و إخراج بنو حمود منها نهائيا و زوال خطرهم على مملكته، و ذلك بفضل التفويض الذي منحه له سكان إشبيلية، ضد بنو حمود، و الانتهاء من حكمهم في اشبيلية[1]، و كيف وظّف هذا التأييد في بناء مملكته و الانتقال إلى سياسات داخلية أخرى.

بعد نجاح القاضي ابن عباد في تحقيق خطته الأولى و التخلص من حكم بني عباد في اشبيلية، و من أطماعهم في الحكم أيضا، سارع إلى ضمان ولاء الجيش، فوعد محمد بن زيري قائد الجيش على أن يعطيه إمارة مدينة اشبيلية عاصمة المملكة، إن شاركه في التخلص من الحموديين، و هكذا استطاع ابن عباد أن يتجاوز تخوفه من الجيش و معارضته لحكمه، ثم عمل على إزاحة أهم الشخصيات في اشبيلية و التي كان يتخوف من مزاحمتها له في الحكم، مثل ابن مريم و ابن العربي و غيرهم.[2]

و بذلك فبعد إزالة خطر بنو حمود عن اشبيلية، و استمالة قادة الجيش داخل المدينة لسلطته، و ما عمله من خلال كسب الجيش، و كذا إزاحة أهم العناصر التي تشكل خطرا على حكمه في المدينة، و بذلك يعتبر ابن عباد هو المؤسس الحقيق لمملكة اشبيلية الطائفية، و صاحب سياسته الداخلية منذ تأسيسها، و ذلك في ظل إفراغه للساحة من المنافسين و المناوئين لحكم بنو عباد في اشبيلية، و عندما توفي سنة (433هـ-1043م)، ترك مملكة (و إن لم تكن شاسعة المساحة) لكن مستقرة داخليا على الأقل.[3]

حيث تشير المصادر أنّ السياسة الداخلية لبني عباد في مملكتهم، جعلت من بنو عباد يحاربون كل من يشكل لهم خطرا، خاصة داخل مملكتهم، فقد تنكر القاضي ابن عباد لحليفه البربري محمد بن زيري، و قام بالقبض عليه ثمّ أطلق سراحه مقابل أن يغادر اشبيلية نهائيا، لتصبح السلطة الفعلية في يد بني عباد لا يخاصمهم فيها أحد، و من هنا و بسياسته الداخلية أراد ابن عباد أن يزيد من كسب ود الرعية، و إعطاء حكمه شرعية، لأنّه لا يتوفر على أي أسس للحكم، و بهدف كسب تأييد العامة و تأكيد سلطته الداخلية، سارع لتشكيل جيش اشبيلي جديد، و استعمل ثروة طائلة لتحقيق ذلك، فاشترى العبيد و الجند و المرتزقة، فأنشأ بذلك جيشا من أقوى جيوش الأندلس.[4]

(1) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 197.
(2) ابن بسام : الذخيرة، قسم2، مج2، ص 5.
(3) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 65.
(4) ابن الخطيب : أعمال الأعمال، ص 153.

و لم يكن دور هذا الجيش الدفاع عن حدود المملكة و الذود عنها فحسب، بل وجّهه أيضا للغزو الخارجي، و القيام بحملات توسعية على حساب الإمارات الصغيرة المجاورة لمملكة اشبيلية، و هو ما ساهم في تحقيق الاستقرار الداخلي و تطبيق سياسات بني عباد التوسعية.

و من أبرز الخطوات التي عرفتها السياسة الداخلية لبني عباد في تسيير مملكتهم، و محاولتهم كسب ود الرعية داخل اشبيلية، ما قام به القاضي ابن عباد بجمع وجهاء اشبيلية و شخصياتها البارزة و قربهم من حوله، بأن أشركهم في اتخاذ قراره بسد أبواب المدينة في وجه البربر و طردهم منها، فهو بذلك استطاع أن يجمع رأي وجهاء اشبيلية على سياسته، كي لا يظهر بميزة الإنفراد بالرأي، و لم يستثن ابن عباد أثرياء اشبيلية في ذلك، فقد كان يشير إليهم في كل الأمور التي تتعلق أساسا بتسيير المملكة و يأخذ برأيهم.[1]

استطاع ابن عباد بهذه السياسة الداخلية المطبقة، و التي تظهر ذكاءه أيضا، فمن جهة هو يظهر أمام أهل إشبيلية بأنّه قبل المهام التي أوكلت إليه مكرها، فقط لإرضاء أهلها و تماشيا مع مصالحهم، و من جهة أخرى فهو لا يتصرف وحده في شؤون مملكته، بل إشراكا لبعض السكان في ذلك [2] ، و بهذا فأي خطأ في السياسة الداخلية لتسييره للمملكة لا يوجه من خلاله اللّوم إلى القاضي بن عباد و إنّما لمستشاريه، و يبقى هو بعيدا كل البعد عن الشك.

بعد أن تمكّن القاضي ابن عباد من الوصول إلى أعلى درجات الحكم في إشبيلية، أراد أن يثبت لأهلها أنّه أهلا لثقتهم، فقام بمجموعة من الأعمال الداخلية ليثبت دعائم حكمه، فقام بشراء العبيد و الغلمان ليستعين بهم ضد أعدائه، و قرّب إليه الرجال و أثرياء اشبيلية و وجهائها و زعمائها، فاستعان بشخصيات تكن له الثقة و الولاء و الطاعة.[3]

ثمّ اتجه نحو تكوين جيش خاص باشبيلية ليعمل على حمايتها خارجيا، و فرض هيبة الحاكم داخليا، فكوّن جيشا قويا، و قام برفع أعطيات الجند و أرزاقهم، فتقرب إليه العديد من العرب و البربر على حدّ سواء، فأصبح من أقوى ملوك الطوائف لكثرة غلمانه، و قواده و قوة بأسه و ماله و سلطانه.[4]

(1) دوزي : المرجع السابق، ص،ص 22،23.

(2) المرجع نفسه، ص 23.

(3) ابن بسام : الذخيرة، قسم 2، مج1، ص 16.

(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 196.

الفصل الثالث

السياسة الداخلية و الخارجية

لمملكة بني عباد و انعكاساتها

السياسة الداخلية و الخارجية لمملكة بني عباد و انعكاساتها.

أولا : النظام السياسي و الإداري.

تأتي مملكة اشبيلية في مقدمة دول الطوائف، من حيث سعتها و تفوقها السياسي، و كان لها شأن في أحداث هذه الفترة، لا سيما غربي الأندلس، حيث تقوم هذه المملكة. و قد حكم بنو عباد هذه المملكة و حاولوا إلحاق مناطق أو ممالك أخرى إلى مملكتهم، و قد خضعت قرطبة عاصمة الأندلس لتسيير حكام اشبيلية لوقت ما، لما عرفته مملكة اشبيلية من تنظيم سياسي و إداري جعل من حكامها يطمحون إلى توحيد بلاد الأندلس تحت راية حكمهم.

يمكننا أن نعتبر القاضي " محمد بن إسماعيل بن عباد "، هو مؤسس دولة بني عباد الحقيقي، و منشئ ملكهم، و على يده اتخذ سلطان بني عباد ألوانه الملوكية المدعمة بالقوى العسكرية، و إن لم يصل بعد إلى غايته من القوة و الانتشار المراد تحقيقه، و أصبحت مملكته وراثية، بعد أن كانت لهم الزعامة القبلية فقط، و هو ما دفع بمن خلفه على حكم مملكة اشبيلية على تطبيق سياسة داخلية مبنية على نظم رسمية، لتصل مملكتهم إلى توحيد بلاد الأندلس و خلافة قرطبة في ذلك.[1]

تولّى الحكم بعد القاضي ابن عباد مؤسس مملكة اشبيلية، ولده أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل، و تلقبّ أولا بفخر الدولة، ثمّ المعتضد باللّه، و كان يوم ولايته في السادسة و العشرين من عمره، و كان مولده سنة (407هـ)، و قد أجمعت الروايات المعاصرة على سياسته و حنكته، التي تعتبر امتدادا لسياسة مؤسس مملكة بني عباد، و قد وصفه ابن حيان بأنّه : " زعيم جماعة الأندلس في وقته، أسد الملوك، و داحض العار ".[2]

و قد تميزت سياسة " المعتضد بالله " الداخلية بأمور كشفت عن صرامته و عنف وسائله، منها قتله و اضطهاده للزعماء القدماء و فصلهم عن المشهد السياسي، و قد كان في مقدمة هؤلاء الفقيه أبو عبد الله الزبيدي، و أبو محمد عبد الله بن مريم زميلا جده القاضي ابن عباد في الرياسة، و ذلك حتّى لا تقوم لأحد من ذوي العصبيات القوية قائمة، ثمّ وضع خطته الشاملة للاستيلاء على قواعد الغرب من أمرائها الصغار، حتّى يخلص الغرب كله من الوادي الكبير إلى المحيط لسلطان بني عباد.[3]

(1) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 39.

(2) المرجع نفسه، ص 40.

(3) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 40.

و في ظل سياسة فرض الاستقرار الداخلي و محاولة التوسع خارج حدود مملكة اشبيلية، استطاع المعتضد بن عباد، في نحو عشرين عاما، أن يقضي على سائر إمارات الغرب الصغيرة، و أن يبسط سلطانه عليها، و أصبحت مملكة بني عباد، تشمل سائر الأراضي الممتدة من شاطئ نهر الوادي الكبير غربا حتّى المحيط الأطلنطي، على أنّ المعتضد لم يقنع بهذا التوسع الكبير في اتجاه الغرب، و إنّما كان يضع الخطط في نفس الوقت للقضاء على الإمارات البربرية الصغيرة القائمة في شرقي الوادي الكبير في جنوبي الأندلس.(1)

كانت سياسة " المعتضد " في تسيير شؤون مملكة بني عباد مبنية على القسوة، حيث اتخذ من العنف وسيلة لبسط سلطانه داخل اشبيلية و إرهاب أعدائه خارجها، فكانت سياسته الداخلية تستهدف القضاء على كلّ من يشكّل خطرا على مركزه و حتّى ممّن يُحتمل أن يصبح خطرا على مستقبله.(2)

إنّ سياسة حكام بني عباد في اشبيلية و في تدبير شؤونهم في الداخل لم تختلف كثيرا عنها في الخارج، فقد كان هدف سياستهم هو القضاء على كل مناوئيهم داخل مملكتهم، ثم شرعوا في محاربة جيرانهم بربر قرمونة (*Caramona*) الذين كانوا إلى عهد قريب حلفاء أبيهم القاضي محمد بن عباد مؤسس مملكتهم، ثمّ أخذوا يتوسعون على إمارات غرب الأندلس الواحدة تلوى الأخرى.(3)

أمّا بالنسبة للسياسة الخارجية لحكام اشبيلية، فلا يمكن إدراكها إلّا بتتبع أعمال بني عباد و ما ارتبط منها بجانب المسلمين و الممالك و الإمارات الطائفية المجاورة لإشبيلية، و هي ما تبيّن أطماع بني عباد في مدّ نفوذهم لإخضاع الغرب لسلطتهم.(4)

ثانيا : العلاقات الخارجية.

1- مع الممالك الإسلامية الكبرى :

أ- علاقة مملكة اشبيلية ببطليوس :

بدأ الصراع بين مملكتي اشبيلية و بطليوس في سنة (420هـ-1029م)، و كانت مملكة بطليوس تحت حكم " المنصور بن محمد " مؤسس الدولة الأفطسية، و كان سبب الصراع في البداية هو مدينة " باجة "، فقد كان كل من ابن الأفطس و القاضي أبو القاسم بن عباد يسعيان للاستيلاء على المدينة، لموقعها الإستراتيجي في الغرب الأندلسي، للسيطرة انطلاقا منها على مختلف الدويلات الصغيرة المتناثرة مثل دولة بني مزين و غيرها.(5)

(1) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص،ص 211،212

(2) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 71.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) دوزي : المرجع السابق، ص 25.

(5) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 68.

و عرفت هذه المرحلة صراعا عسكريا كبيرا بين الطرفين، انتهت فصوله بانتصار بني عباد و حليفهم البرزالي، و هزيمة قوات بني الأفطس، و بعد مفاوضات طويلة اتفق ابن عباد و ابن الأفطس على هدنة لمدة أربع سنوات، و لكن الحروب تجددت بين الطرفين، بسبب نوايا بني عباد التوسعية في المنطقة، و هدفهم المعلن في توحيد مختلف الممالك تحت سيطرتهم.(1)

استمرت العلاقات العدائية بين مملكتي إشبيلية و بطليوس منذ عام (422هـ-1013م)، حتّى تمكّن أمير قرطبة أبو الحزم ابن جهور بإنهاء هذا العداء و عقد الصلح بينهما في سنة (443هـ-1051م)، و لكن الصلح لم يتم بالصورة النهائية بين الطرفين إلّا في سنة (444هـ-1052م). (2)

بعد أن توقفت الحرب بين المملكتين، تفرغ المعتضد بن عباد لحروبه ليستكمل مشروعه التوسعي في غرب الأندلس، أمّا ابن الأفطس فقد انصرف إلى إصلاح الخراب الذي أحدثته الحروب بينه و بين المعتضد بن عباد، فقام بإعادة عمران بطليوس و إعادة تنظيم قواته و تجهيز عدته العسكرية من جديد ليستعيد مكانته التي انكسرت بفعل الحروب طويلة السنين مع المعتضد بن عباد.(3)

ب- علاقة مملكة اشبيلية بقرطبة :

بعد وفاة أبو الحزم بن جهور سنة (435هـ-1043م)، انتقل الحكم في قرطبة إلى ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي حاول أن يبقي على قوة و هيبة قرطبة مثل سياسة أبيه، و هو ما تحقق له فعلا فأوضاع قرطبة لم تتغير، و استمر الأمن و الاطمئنان في نفوس أصحابها، كما أنّه عمل على ردّ الحقوق إلى أصحابها، و توزيع ممتلكات الغائبين إلى أقاربهم، و استطاع أيضا أن يقضي على أطماع بني أمية في العودة إلى الحكم.(4)

و لكنّ قرطبة بدأت تعرف الضعف بسبب أخذ أبو الوليد للبيعة لابنه الأصغر عبد الملك، و كان عبد الملك سيء السيرة، و بدأ التنافس بين ولديه عبد الرحمن و عبد الملك، و أخذ كل منهما يستميل طائفة من الجند إلى جانبه، و انقسمت الرعية في قرطبة إلى قسمين، و تمّ تقسيم الرياسة بين الطرفين، و بدأت المشاكل و الصراعات الداخلية بين مختلف الأطراف في قرطبة، فحاول بنو عباد أصحاب اشبيلية أن يستغلوا هذه الأوضاع لفرض سيطرتهم على قرطبة عاصمة الخلافة سابقا.(5)

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 211.

(3) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 69.

(4) ابن بسام : الذخيرة، قسم 2، مج2، ص 605.

(5) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 233.

و بدأت نوايا المعتضد تظهر في محاولاته المختلفة للسيطرة على قرطبة، خاصة على يد ابنه المعتمد ابن عباد سنة (462هـ-1070م)، فقد أعطى المعتمد ابن عباد أوامر سرية لقادة الجيش بأن يخرجوا ببني ذي النون من قرطبة و الإقامة مكانهم.[1]

اعتمد المعتمد بن عباد في دخوله قرطبة على عساكره إضافة إلى أهالي قرطبة الذين راسلوا المعتمد بن عباد و شكوه ظلم ابن جهور، و طلبوا منه أن يخلصهم من ظلم بني جهور، و هو ما فعله المعتمد بهدف تحقيق نواياه في استغلال الفرصة و السيطرة على مدينة قرطبة، لتصبح قرطبة في مرحلة جديدة تتبع من خلالها لإشبيلية، و عيّن ابنه سراج الدولة عباد الملقب بالظافر باللّه واليا على قرطبة، و لكنّ هذه السيطرة لم تكن نهائية، فقد عرفت قرطبة محاولات عسكرية لاسترجاعها من طرف وزراء ابن جهور السابقين.[2]

لم يستمر حكم بني عباد في قرطبة، فقد نجحت محاولات أنصار بني جهور العسكرية المتواصلة في استرجاع السيطرة على المدينة، و تمّ طرد قوات بني عباد من المدينة و ذلك سنة (467هـ-1075م)، و تولّى أمر إدارة قرطبة " ابن عكاشة "، لكنّ العلاقة بين اشبيلية و قرطبة لم تتوقف عند هذا الحد فقد بدأت محاولات المعتمد بن عباد من جديد لدخول قرطبة، فدخلها في 27 من ذي القعدة من سنة (467هـ-1074م)، و طاردت قوات " ابن عكاشة "، و انتهى الأمر بسيطرة بني عباد من جديد على اشبيلية مدة تزيد على ستة عشر عاما.[3]

ج- علاقة مملكة اشبيلية بالإمارات البربرية في غرب الأندلس :

لعب البربر دورا بارزا في أحداث اشبيلية في القرن الخامس الهجري، فقد استغلت الطوائف البربرية سقوط الخلافة الأموية بقرطبة سنة (422هـ-1030م)، و اتخذ رؤساؤهم دويلات بربرية مستقلة في الأندلس، منها دولة زيري بن مناد الصنهاجي في غرناطة، و بنو برزال الزناتيون في قرمونة، و بنو خرزون بأركش، و غيرها، و لكنّها لم تكن دويلات كبيرة بحجم مملكة اشبيلية و غيرها من الممالك الكبيرة، و مع وجود أطماع بني عباد في خلافة قرطبة على الأندلس، و نيتهم في جعل الأندلس يخضع للوحدة تحت سلطانهم، فقد عرفت العلاقة بين اشبيلية و هذه الممالك البربرية، بكونها علاقة عداء عسكري.[4]

فقد عرفت الأندلس فترة ملوك الطوائف احتدام الصراع بين العرب و البربر و كأنّ الأندلس انقسمت إلى قسمين : القسم البربري و تمثله الدويلات البربرية في غرب الأندلس، و القسم العربي و تمثله العناصر التي

(1) المصدر نفسه، ج3، ص 258.
(2) المقري : نفح الطيب، مج2، ص،ص 158،159.
(3) ابن الخطيب : أعمال الأعمال، ص،ص 158،159.
(4) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 99.

يتزعمها بنو عباد في اشبيلية، و استمرت العلاقات العدائية بين الطرفين، حيث تعود جذور هذا الصراع إلى تأسيس بني عباد لملكهم في اشبيلية و معارضة البربر لهم، ثمّ طردهم من طرف بنو عباد.[1]

لقد كانت هذه الممالك البربرية الصغيرة المتواجدة في غرب الأندلس ضمن المخططات التوسعية لبنو عباد منذ البداية، و انتهى أمر العلاقة بين الطرفين بين إمارات بربرية استحوذ عيها بنو عباد، و أصبحت تابعة لملكهم في اشبيلية، و بين إمارات أخرى أصبحت تدفع الجزية لبني عباد في اشبيلية.

و في سنة (446هـ-1054م) تمكّن المعتضد بن عباد من الاستيلاء على الجزيرة الخضراء، و كانت بيد القاسم بن محمد بن حمود، و تكمن أهميتها في أنّها باب الأندلس من جهة الجنوب، فحاصرها المعتضد برا و بحرا، و ضيّق الخناق عليها حتّى اضطرّ أميرها القاسم بن حمود إلى طلب الأمان، و لجأ أميرها إلى المعتصم بن عباد صاحب ألميرية.[2]

د- علاقة مملكة إشبيلية بالإمارات البربرية في جنوب الأندلس :

بعد أن تمكّن بنو عباد من التوسع على حساب الإمارات البربرية في غرب الأندلس، اتجه بعد ذلك للقضاء على الإمارات البربرية في جنوب الأندلس، و منها إمارة بني يفرن في رندة، و إمارة بني دمّر في مورون و إمارة بني خزرون في شذونة و أركشن و إمارة بني برزال في قرمونة و غيرها.[3]

اتبع المعتضد الأسلوب العسكري بمختلف مجالاته في التوسع على حساب هذه الممالك البربرية في جنوب الأندلس، إضافة إلى محاولة استمالة البربر ضد قادتهم في أحيان كثيرة، فعمل على الاستيلاء على مدينة " رندة "، ثم اتجه بعدها للاستيلاء على مدينة و إمارة " شذونة " و هي بيد " بن خزرون".[4]

أمّا مدينة " مورور" فقد كانت بيد بني دمر و هم بربر يسكنون الجبل المقابل لقابس، و هم إباضية، فقد غزاها المعتضد أيضا و خلع حكامها و سانده أهلها، ثم اتجه بعدها إلى مدينة " رندة "، و قد كان يحكمها ابن باديس و كان فاسقا مجرما، نهب أموال الناس و اعتدى على أراضيهم، فكرهه الناس لتصرفاته، و طلبوا من حكام اشبيلية أن يساعدوهم على القضاء على حكمه[5]، و هو ما ساعد المعتضد بن عباد للسيطرة عليها، و بذلك أصبحت مدينة رندة و ما حولها بيد المعتضد، و كان ذلك سنة (457هـ-1065م).[6]

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص،ص 78،79.
(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 214.
(3) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 83.
(4) ابن بسام : الذخيرة، قسم 2، مج1، ص 39.
(5) ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، ص 312.
(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2- علاقة بني عباد في اشبيلية مع الممالك النصرانية :

أ- العلاقات الحضارية :

تميزت اشبيلية بفضل طبيعتها و أقاليمها المناخية، و توافر مياهها بتنوع محاصيلها الزراعية، التي صدّرت جزءا منها إلى الممالك النصرانية، فقد اشتهرت اشبيلية بالكثير من المحاصيل الزراعية التي صدّرت إلى الشمال المسيحي كالأرز و القطن و التوت و أنواع الزهور، و غيرها، و لم يقتصر الأمر على منتوجات اشبيلية فحسب، بل ساهمت اشبيلية في تصدير مختلف المنتجات الأندلسية إلى الشمال المسيحي، و قد أدّى ذلك إلى إنتعاش الحركة التجارية بين اشبيلية و الممالك المسيحية و النصرانية في الشمال، و هو ما ساهم في وجود علاقات اجتماعية و تبادل حضاري بين سكان اشبيلية و سكان الأقاليم المسيحية الأخرى.[1]

و قد شكلت اشبيلية أهم طرق نقل الحضارة الإسلامية إلى الممالك النصرانية في الشمال، و نتيجة لتأخر دول اسبانيا المسيحية في الصناعة و الزراعة، فقد قامت تجارة رائجة بينها و بين اشبيلية خاصة و الأندلس عامة، و يظهر ذلك واضحا في الوقت الذي تبادلت فيه السفارات و البعثات الدبلوماسية بين اشبيلية و قشتالة، حيث كانت العطايا الفاخرة يقدمها ملوك بني عباد لتلك السفارات النصرانية، و قد كانت نساء القصور في ليون و قشتالة يحثون التجار اليهود على جلب المزيد من هذه العطايا من أسواق اشبيلية و قرطبة.[2]

و قد بلغ التواصل الحضاري بين مسلمي اشبيلية و الممالك المسيحية إلى أن مملكة قشتالة كانت تتعامل مع اشبيلية بنفس العملة في بعض التعاملات التجارية بين الطرفين، و عندما قام ألفونسو السادس بضرب عملة خاصة به كتب عليها باللغة العربية (Ceda) و هي مأخوذة من الكلمة العربية (السكة).[3]

تظهر أيضا التأثيرات الحضارية بين مملكة اشبيلية و الممالك النصرانية، في مجالات عدة كالأخلاق و العادات و التقاليد و الموسيقى و الحفلات و الأعياد، و كذا الملبس و المشرب، و غيرها، و ذلك بسبب التجاور و العيش على أرض واحدة و بسبب التداخل السياسي و العسكري و البشري بين المجتمعات، و قد لعب نصارى اشبيلية الذين شكلوا قسما لا بأس به من سكانها دورا في العلاقات الحضارية هذه، فقد كانوا في غاية الثراء خاصة في الزراعة و التجارة، لدرجة أنّ أهل اشبيلية كانوا يعطونهم مكانتهم لذلك.[4]

و قد كانت مملكتي أراغون و قشتالة أكثر الممالك النصرانية التي اقتبست الفن المعماري المشهور بإشبيلية، و هذا راجع إلى المسافة القريبة بين اشبيلية و قشتالة و العلاقة القوية التي ربطت ملوك بني عباد

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 101.

(2) ليفي بروفنسال : الإسلام في المغرب و الأندلس، ترجمة : السيد محمود عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1990. ص 302.

(3) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 105.

(4) ابن عذار المراكشي : المصدر السابق، ج3، ص 33.

بملوكها. كذلك كانت هناك تأثيرات دينية متبادلة بين المجتمعين، فظهر التسامح الديني و حرية الأديان و السماح لليهود و النصارى بالتنقل بحرية تامة في كل نواحي اشبيلية، كما ظهرت الكنائس في اشبيلية و كانت أبوابها مفتوحة للنصارى و المسلمين.[1]

ب- العلاقات السياسية و العسكرية :

اعتبرت الحرب المستمرة بين مملكة اشبيلية و الممالك النصرانية وسيلة من وسائل التأثير الحضاري، فقد أسفرت هذه الحروب عن أسرى و عقد معاهدات و تبادل السفارات بينهما، و تعتبر علاقة مملكة بني عباد مع نصارى الشمال خاصة ملك قشتالة " فرديناند "، هي أهم وجه لتلك العلاقات الخارجية لمملكة اشبيلية.

لا يمكن أن ندرك العلاقات الخارجية لمملكة بني عباد في اشبيلية مع الممالك النصرانية، إلّا بتتبع طبيعة العلاقة بين الطرفين، و قد تحكمت عوامل كثيرة في هذه العلاقة أهمها أطماع بني عباد في التوسع على حساب الممالك الإسلامية من جهة، و قوة الممالك النصرانية المجاورة من جهة أخرى، و ما ذهبت إليه بعض الممالك الإسلامية من تحالف مع الممالك النصرانية ضد توسعات بني عباد في المنطقة، و كيف أثرّت قوة مملكة قشتالة و سياسة ملكها " فرديناند ".

كان " فرديناند " قد وحّد مملكتي قشتالة و ليون منذ عام (429هـ-1037م)، و غدا بذلك أقوى ملك في اسبانيا، و قد ظلّت مشاغله الداخلية تصرفه مدّة من الزمن عن غزو بلاد المسلمين، و لكن بعد القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلاد) تغيرت الأوضاع و تفرغ هذا الملك لمحاربة المسلمين، و هو يدرك استحالة مقاومتهم له، لما هم عليه من الضعف و التشتت.[2]

بعدما أخضع فرديناند الممالك الثغرية، مدّ أطماعه أكثر من ذلك، فوجّه حملة عسكرية نحو اشبيلية سنة (455هـ-1063م)، فأحرق و دمّر و سبى، و رأى المعتضد بن عباد أنّ الحكمة تقتضي أن يفعل ما فعله المأمون بن ذي النون، فذهب بنفسه إلى المعسكر المسيحي و قدّم بعض الهدايا و التحف لفرديناند ملتمسا منه الإبقاء على مملكته مقابل جزية سنوية يدفعها له.[3]

كان الملك فرديناند يطمح لاسترداد الأندلس من يد المسلمين و طردهم منها، فقام في شمال بطليوس حينها بطرد المسلمين من " قلمرية " (*Coimbra*) و " بازيو " (*Viseo*) ، و عوّضهم بالنصارى سنة (456هـ-1063م)، و لكنّه كان يعلم أنّ قوته آنذاك لا تسمح له بشن هجوم شامل على جميع الممالك الطائفية، لذلك اكتفى بخطة

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 101.

(2) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 71.

(3) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 384.

تقوم على مراحل، بداية بإسقاط بعض الممالك الإسلامية الصغيرة، و التحالف مع بعضها، و مهادنة بعضها الآخر.[1]

لقد تقاطعت سياسة فرديناند بسياسة المعتضد رغم التناقض الواضح بين السياستين، فالأوّل يسعى لأخذ المال لتقوية دولته و إضعاف الممالك الطائفية بما في ذلك إشبيلية، و الثاني يسعى لإزاحة خطر النصارى الذين أصبحوا يشكلون تهديدا لسياسته و مشروعه التوسعي، لذلك لم يجد ملك اشبيلية حرجا في دفع الجزية للملك النصراني ما دام هذا الأمر يخدم مصلحته الآنية، و إذا كانت اشبيلية قادرة على دفع الجزية دون أن يسبّب ذلك انهيارا في اقتصادها، و دون أن تظهر آثاره السلبية في تلك الفترة، فإنّ استمرار هذه السياسة في عهد خلفه المعتمد سوف تؤدي إلى نتائج خطيرة على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي في اشبيلية.[2]

لقد كانت دوافع المعتمد بن عباد في ربط علاقات سياسية مع النصارى الأسبان، هي نفسها دوافع أبيه المعتضد من قبل، فقد كان يتوجس من البربر و يسعى للقضاء عليهم، خاصة مملكة غرناطة التي بلغت عهد ملكها باديس بن حبّوس الصنهاجي (428-465هـ/1036-1072م)، ذروة قوتها و مجدها، لذلك كان تحالف بني عباد مع ألفونسو و إعطائه الجزية جزءا أساسيا من هذه السياسة.[3]

و يفهم من ذلك أنّ سياسة ملوك الطوائف مع النصارى الأسبان، كانت تقوم على التسابق لنيل رضاهم للحصول على الدعم بالجنود المرتزقة لخوض الحروب ضدّ بعضهم البعض، و هو ما يبيّن دور الصراع الداخلي في التأثير على طبيعة العلاقة بين مملكة إشبيلية و الممالك النصرانية، فإذا أراد أحدهم أن يؤلّب ملكا نصرانيا على حليفه المسلم ما عليه سوى مضاعفة قيمة الجزية، و فيه إشارة واضحة إلى مبادرة أمير غرناطة بتقديم الأموال لألفونسو على أن يعينه على محاربة اشبيلية.[4]

و يشرح الأمير عبد الله الزيري في مذّكراته، سياسة ألفونسو السادس في علاقاته مع اشبيلية و غرناطة، و سعيه الحثيث في ضرب بعضهما ببعض، و من ذلك أنّ الملك ألفونسو اتصل سرا بأمير غرناطة يطلب منه نفس القدر من الذهب الذي وعدت به اشبيلية، و يتوعده أن يمضي قُدما في حلفه مع ابن عباد في حال امتناعه عن دفع الجزية، و التي يسميها هذا الأمير احتشاما ضريبة[5]، و بعد طول مفاوضات اكتفى ألفونسو بمبلغ ثلاثين ألف مثقال، خشية انهيار اقتصاد غرناطة، فتقع فريسة سهلة لإشبيلية.[6]

(1) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 72.

(2) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 73.

(3) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 389.

(4) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 76.

(5) ابن بلكين:كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق : الدكتور علي حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص 94.

(6) فضيل بو الصوف : المرجع السابق، ص 76.

التزمت مملكة اشبيلية منذ عهد المعتضد بن عباد، بدفع جزية سنوية للملك النصراني فرديناند ثم لأبنائه بعد ذلك، و كان المعتمد لا يتأخر في إرسال المال المطلوب كل عام للملك ألفونس السادس، فلقد قام الوزير أبو بكر بن عمار بدور بارز في تمتين العلاقة بين اشبيلية و قشتالة، فقدم الأموال الطائلة للنصارى في سبيل تحقيق المشاريع التوسعية لمملكة اشبيلية، دون اعتبار لما قد يسببه ذلك في إضعاف لاقتصاد هذه المملكة، و تميّزت بذلك العلاقة الجديدة لاشبيلية بمملكة قشتالة و ليون بنوع من الفتور، و مع ذلك استمر المعتمد بن عباد في دفع الجزية السنوية المفروضة عليه، حيث يذكر المقرّي، و هو يبيّن أسباب هذه الجفوة بين المعتمد و ألفونسو، فيقول في ذلك : " إنّ المعتمد بن عباد لم يزل بخير حتّى سنة (475هـ-1082م)، حينما أرسل ألفونسو ملك قشتالة رسوله اليهودي " ابن شاليب "، الخبير في معرفة عيار الذهب الحسن من الزائف لقبض الجزية السنوية، فوجّه له المعتمد بن عباد المال، فرفض استلام أموال الجزية بحجّة أنّها زائفة، و هي الحادثة التي أدّت إلى توتر العلاقة بين الطرفين من جديد.[1]

و لكنّ العلاقة بين الطرفين عادت إلى مجاريها بحكم المصالح المشتركة بين مملكة اشبيلية و الممالك النصرانية، خاصة مملكة قشتالة منها، حيث لم تتوقف العلاقة بين مملكة اشبيلية و قشتالة في عهد ألفونسوا السادس إلى حد تبادل السفارات و أخذ الجزية السنوية فقط، بل تطورت إلى درجة الدفاع عن مملكة اشبيلية ضد اعتداءات ملوك الطوائف و الممالك النصرانية المجاورة، فألفونسوا السادس كان يتصرف و كأنّه مسؤولا عن أمن و سلامة مملكة اشبيلية، ففي عام (472هـ-1079م) أرسل ألفونسو السادس سفارة قشتالة برئاسة الفارس القشتالي السيد " القميطور " لاستلام الجزية من المعتمد، و كانت اشبيلية تتعرض في تلك الأثناء لهجوم من ملك غرناطة، و قوة من الفرسان النصارى التي كان يرأسها الكونت "غرسيه أردينيز".[2]

و لكن مرسول الملك ألفونسو السادس كان يسعى من خلال هذه البعثة إلى حماية مملكة إشبيلية من الهجمات التي تتعرض لها من طرف غرناطة و حلفائها من الفرسان النصارى، و هو ما يبيّن شدة العلاقة بين الطرفين، و دور المعاهدات في ذلك.

و لكن نوايا ألفونسو السادس اتجاه مملكة بني عباد بدأت تتكشف بعد سقوط طليطلة مباشرة (478هـ-1085م)، كما تأكد للمعتمد الخطأ الفادح الذي وقع فيه، خاصة بعد الرسالة التي أرسلها ألفونسو للمعتمد و أثارت غضب المعتمد، لأن ألفونسو من خلال الرسالة أظهر نواياه، حيث بدأ رسالته بإمبراطور الملتين الإسلامية و المسيحية[3]، وبيّن للمعتمد مدى قوته و تمكنه من السيطرة عليه وقتما يشاء كما فعل بطليطلة،

(1) المقري : نفح الطيب، ج4، ص 246.

(2) ابن عذارى : المصدر السابق، ج4، ص،ص 31،36.

(3) ابن بلكين : المصدر السابق، ص 101.

و طلب منه تسليم نفسه و حصونه إن أراد السلم و حماية نفسه، كما أشار ألفونسو بأنّه على وشك القيام بغزو اشبيلية، و أن ما منعه هو فقط الاتفاق المبرم بينه و بين المعتمد.[1]

من خلال هذه الرسالة بدا واضحا هدف و أطماع ألفونسو في الاستيلاء على اشبيلية و أن المسألة مسألة وقت لا أكثر، وأن كل سفاراته و اتفاقاته مع المعتمد ما هي إلا تمهيدا للاستيلاء على اشبيلية، و هي نفسها نوايا كل الممالك النصرانية اتجاه الممالك الإسلامية، و من هنا رد المعتمد بن عباد على رسالة ألفونسوا برسالة تدل على القطيعة بين الطرفين، و بداية التحضير لدخول المرابطين للأندلس من أجل نصرة المسلمين.

ثالثا : نهاية حكم بني عباد في اشبيلية.

على إثر التفويض الذي حصل عليه " يوسف بن تاشفين " من الفقهاء و العلماء، بدأ بعبوره الثالث للأندلس (483هـ-1090م)، و كانت حجته في ذلك الاتفاقات السرية التي عقدها كل من المعتمد و المتوكل بن الأفطس و عبد الله بن بلقين مع ألفونسو السادس ضد المرابطين.[2]

فقد عقد المعتمد بن عباد اتفاقا سريا مع ألفونسو السادس يقضي بتقديم المساعدة للمعتمد ضد المرابطين مقابل تنازل المعتمد بن عباد عن مملكته لألفونسوا و دفع الجزية، مقابل بقاء المعتمد عاملا على مملكته، و بعد أن استفتى يوسف بن تاشفين الفقهاء بأمرهم أكدوا له ضرورة خلعهم فبدأ بعبوره إلى الأندلس، و بدأ يوسف بن تاشفين بغرناطة فضرب عليها حصارا و استولى على ما فيها.[3]

و كان السبب الذي أوقع بني عباد في عداء المرابطين هي تلك الاتفاقيات السرية التي عقدها المعتمد مع ألفونسو السادس ضد المرابطين، لتعطي بذلك المبرر الكافي لابن تاشفين لبدأ هجومه على إشبيلية.[4]

دخل المرابطون اشبيلية و سيطروا على مقاليد الحكم فيها و عاثوا فيها فسادا و نهبا لأموالها و خيراتها، فقد قتل المرابطون ابن المعتمد بين يديه، فاستسلم المعتمد و أهله للمرابطين و أعطوا أمانا على النفس و الأهل و الولد، و أرسل إلى ولديه " يزيد الراضي" المتحصن بربدة و أبي بكر المعتمد المتحصن بمارتلة أن يسلّما أنفسهما للمرابطين، و هكذا سقطت اشبيلية بيد المرابطين، و ذلك في يوم الأحد الحادي و العشرين من رجب، و دخل المرابطون إلى اشبيلية من جهة الوادي الكبير، بعد دفاع طويل من المعتمد و جنوده.[5]

(1) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 127.
(2) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ص 384.
(3) ابن بلكين : المصدر السابق، ص 101.
(4) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 164.
(5) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 165.

بعد أن استسلمت مدينة اشبيلية للمرابطين، و أصبحوا أصحاب القرار فيها، قبضوا على أهل المعتمد، و نفي المعتمد إلى أغمات، هو و أفراد أسرته.

رابعا : أسباب ضعف و انهيار مملكة بني عباد في اشبيلية.

لقد اجتمعت جملة من العوامل و الأسباب الداخلية و الخارجية، المادية و المعنوية، و التي ساهمت بدورها في سقوط دولة بني عباد في يد المرابطين الذين عبروا لبلاد الأندلس من أجل حماية الإسلام و المسلمين من الخطر الصليبي، و نذكر منها :

1- خطر و عداء الممالك النصرانية للمسلمين بصفة عامة و بني عباد بصفة خاصة، و هي من العوامل الخارجية التي أسهمت في إسقاط دولة بني عباد، خاصة بعد ظهور بوادر التوسع لمملكة بني عباد في المنطقة، و ظهور الخطر الحقيقي لمملكة قشتالة و مملكة ليون.

2- الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به مدينة اشبيلية و الذي جعلها محل أطماع كل الممالك المسيحية و الإسلامية، فالسيطرة على اشبيلية، تعني في ذلك الوقت بسط السيطرة على الضفة الغربية للنهر الكبير.[1]

3- تمزق وحدة الأندلس، حيث يعتبر عصر ملوك الطوائف من أخطر المراحل التي يمر بها التاريخ الأندلسي في تلك الفترة، و كيف بدأ الصراع بين هذه الممالك من أجل خلافة مكانة قرطبة، و في بعض الأحيان كان التحالف مع النصارى ضد المملكة الإسلامية، فبدا الوجود الإسلامي بالانحصار عن أجزاء كبيرة من بلاد الأندلس في الوقت الذي تقدمت فيه الجيوش النصرانية و بدأت تحتل أجزاء كثيرة من القرى الأندلسية.[2]

3- الاستعانة بالممالك النصرانية في الشمال ضد إخوانهم و أبناء ملتهم من ملوك الطوائف في البداية و ضد المرابطين في النهاية.

4- محاولات بنو عباد التوسعية في الأندلس و عقد بعض التحالفات مع الممالك الإسلامية، في حين إعلان العداء لممالك أخرى.

5- اللّهو و الترف : اشتهرت اشبيلية بكثرة مجالس الغناء و الطرب، فكانت " طريانة " مركزا لمجالس اللهو و الترف حيث ارتادها الشعراء و الملوك على حدّ سواء، و انشغل ملوكها بالترف و شرب الخمر، و لم تقتصر مجالس اللّهو و الترف على الملوك فحسب بل تفشت بين طبقات المجتمع الأندلسي و أصبحت أمرا أساسيا في

(1) ابن بلكين : المصدر السابق، ص 101.

(2) فلنتينا سليمان عفانة : المرجع السابق، ص 170.

حياتهم، يمارسونه بشكل عادي[1]، و قد كانت اشبيلية من أكثر مدن الأندلس شهرة بكثرة مجالس الغناء و الطرب، و هو ما ساهم في تراجع مكانتها الحربية و الدينية.[2]

(1) المرجع نفسه، ص 172.

(2) المقري : نفح الطيب، ج1، ص 154.

خاتمـة

تكمن أهمية النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث، كونها نسبية و قابلة للمراجعة و الإضافة، و على ضوء المعطيات الجديدة التي يمكن للباحث التحصل عليها، و في هذا السياق و من خلال ما تم عرضه و مناقشته من مادة علمية ضمن مختلف فصول الدراسة، يمكن استخلاص النقاط التالية :

– تعتبر الفتنة البربرية قد جسّدت التنافر بين المسلمين في الأندلس و ساهمت في فتح الباب على مصراعيه للطامعين في السلطة، و لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه ذلك إلى استعانة بعض المسلمين بالنصارى الأسبان ضد إخوانهم للوصول إلى الخلافة، حيث أثرت بشكل أساسي على مجريات الصراع في الأندلس، لأنها أتاحت الفرصة لجيوش النصارى للتوغل في قلب بلاد المسلمين و الإطلاع عيانا على ضعفهم و تفرق كلمتهم. فكان من نتائج ذلك سقوط هيبة المسلمين أمام النصارى.

– بعد ضعف الخلافة الأموية و عدم قدرتها على السيطرة على الوضع في الأندلس، كان لا بد من تفكك الوحدة السياسية للأندلس، فأصبحت كل طائفة من طوائف أهل الأندلس تسعى للإنفراد بالسلطة، و سرعان ما أعلن أصحاب هذه الممالك عن حقهم في الملك و انتحلوا الألقاب السلطانية و صاروا ملوك و عرفوا بممالك الطوائف.

– يعتبر ظهور بنو عباد على مسرح الأحداث في أعقاب الفتنة البربرية على يد جدهم أبي الوليد إسماعيل، قاضي اشبيلية، و استطاعته جمع وجهاء اشبيلية و شخصياتها البارزة و تقريبهم من حوله.
و من ذلك استطاع القاضي بفضل حنكته و ذكائه أن يجمع كل اشبيلية من حوله، و منه استطاع القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد من تأسيس دولة بني عباد بإشبيلية و الإنفراد بملكهم. و بسط نفوذهم في المنطقة، فكان لهم الأثر الكبير على الساحة السياسية.

الملاحـق

الملحق الأول : يوضح قائمة نسب بني عبّاد.[1]

قائمة نسب بني عباد

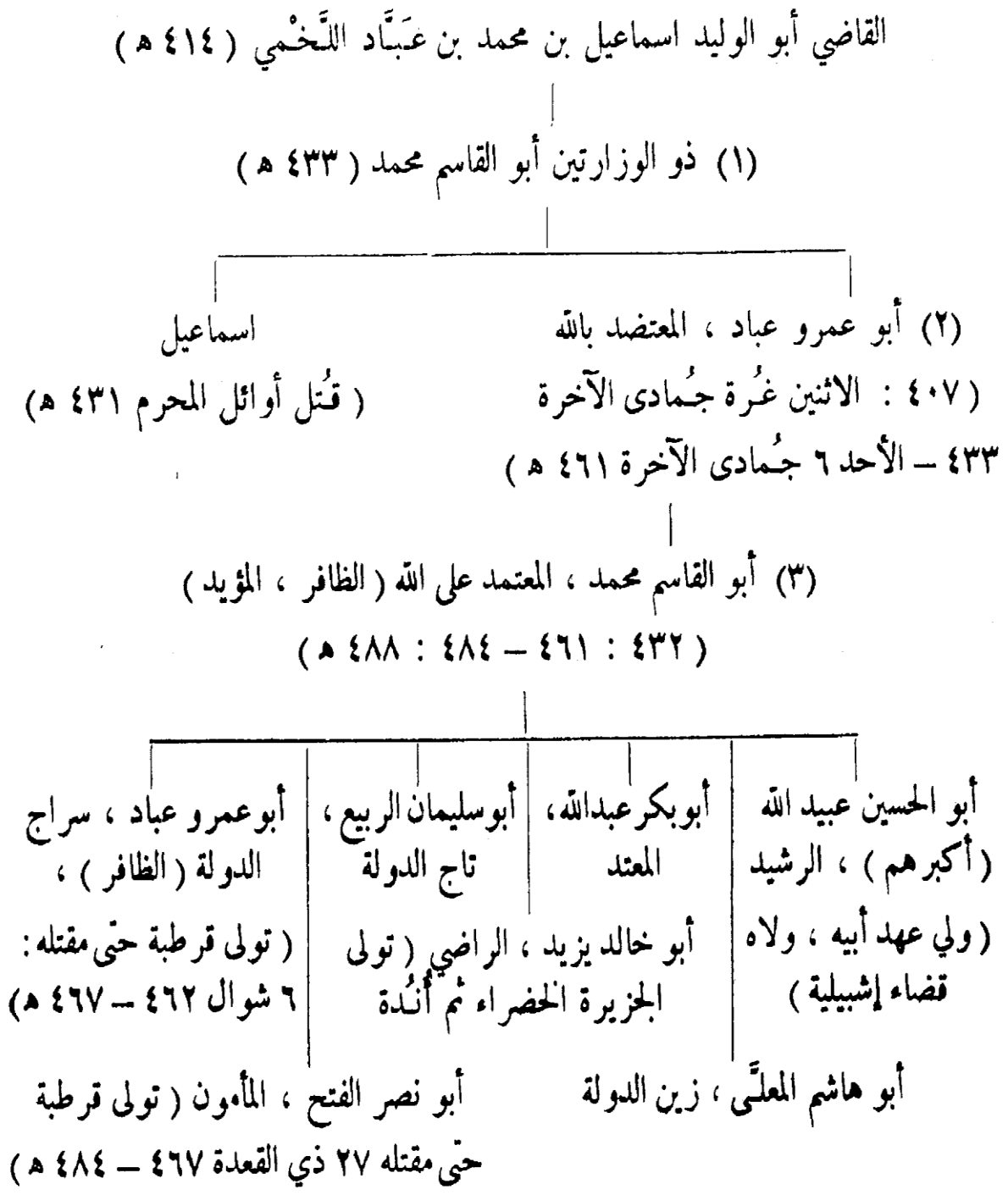

(1) عبد الرحمن علي الحجي : المرجع السابق، ص 391.

الملحق الثاني : جدول تاريخي مفصل لدول الطوائف.[1]

جدول تاريخي مفصل لدول الطـــوائف

دولة بني جهور في قرطبة

أبو الحزم جهور محمد بن جهور: 422-435هـ / 1031- 1044م.

أبو الوليد محمد جهور: 435-457هـ / 1044 -1064م.

عبد الملك بن محمد بن جهور:457-463هـ / 1064- 1070م.

المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة سنة 463هـ/1071م.

دولة بني عباد في اشبيلية

القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد: 414-433هـ / 1023- 1042م.

عباد بن محمد المعتضد: 433-461هـ / 1042- 1069م.

محمد بن عباد المعتمد: 461-484هـ / 1069-1091م.

اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني الأفطس في بطليوس

عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور: 413-437هـ / 1022-1045م.

محمد بن عبد الله المظفر: 437-461هـ / 1045- 1068م.

يحي بن محمد المنصور: 461-464هـ / 1068- 1072م.

عمر بن محمد المتوكل: 464- 488هـ / 1072-1094م.

بطليوس تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني يحي في لبلة

أبو العباس أحمد بن يحي: 414-434هـ / 1023-1042م.

محمد بن يحي عز الدولة: 434-443هـ / 1042-1051م.

فتح بن خلف ناصر الدولة: 443- 445هـ / 1051- 1053م.

لبلة تسقط في يد المعتضد بن عباد

(1) فضيل بوصوف : المرجع السابق، ص، 177-181.

دولة بني مُزين في باجة وشلب

الحاجب عيسى محمد : ...-432هـ / ....1041م.

محمد بن عيسى عميد الدولة: 432-440هـ / 1041- 1048م.

عيسى بن مُزين المظفر: 440-445هـ / 1048- 1053م.

محمد بن عيسى الناصر: 445-450هـ / 1053-1058م.

عيسى بن محمد المظفر: 450-455هـ / 1058-1063م.

شلب تسقط في يد المعتضد بن عباد

دولة بني البكري في ولبة وجزيرة شلطيش

عبد العزيز البكري عز الدولة: 403-443هـ / 1012-1051م.

ولبة وشلطيش تسقطان في يد المعتضد

دولة بني هارون في شنتمرية الغرب

سعيد بن هارون: 417-433هـ / 1026- 1041م.

محمد بن سعيد المعتصم: 433-443هـ / 1041-1051م.

شنتمرية الغرب تسقط في يد المعتضد

دولة بني ذي النون في طليطلة

اسماعيل بن ذي النون الظافر: 427-435هـ / 1036-1043م.

يحي بن اسماعيل المأمون: 435-467هـ / 1043-1075م.

يحي بن اسماعيل بن يحي القادر: 467-478هـ / 1075- 1085م.

طليطلة تسقط في يد ألفونس السادس

دولة بني مناد في غرناطة

زاوي بن زيري: 403-410هـ / 1013- 1019م.

حبوس بن ماكسن: 411-428هـ / 1020-1037م.

باديس بن حبوس المظفر: 428-465هـ / 1037-1073م.

عبد الله بن بلكين : 465-483هـ / 1073-1090م.

المرابطون يستولون على غرناطة

دولة بني برزال في قرمونة

محمد بن عبد الله بن برزال: 404-434هـ / 1013-1042م.

عزيز بن محمد المستظهر: 434-459هـ / 1042-1067م.

قرمونة تسقط في يد ابن عباد

دولة بني دمّر في مورور

نوح بن أبي تزيري الدمري: 403-433هـ / 1013-1041م.

محمد بن نوح عز الدولة : 433-445هـ / 1041-1053م.

مناد بن محمد عماد الدولة : 445- 458هـ / 1053- 1066م.

مورور تسقط في يد ابن عباد

دولة بني خزرون في أركش

محمد بن خزرون عماد الدولة: 402-420هـ / 1011-1029م.

عبدون بن محمد بن خزرون: 420- 445هـ / 1029-1053م.

محمد بن محمد بن خزرون القائم: 445-461هـ / 1053-1068م.

أركش تسقط في يد ابن عباد

دولة بني يفرن في رندة

هلال بن أبي قرة اليفرني: 406-445هـ / 1015-1053م.

باديس بن هلال: 445-449هـ / 1053-1057م.

أبو نصر فتوح بن هلال: 449-457هـ / 1057-1065م.

رندة تسقط في يد ابن عباد

مملكة ألمـــرية

1- خيران العامري: 405-419هـ / 1014-1028م.

زهير العامري: 419-429هـ / 1028-1038م.

عبد العزيز المنصور: 429-433هـ / 1038-1041م.

2- معن بن صمادح: 433-443هـ / 1041-1051م.

محمد بن معن المعتصم: 443-484هـ / 1051-1091م.

أحمد بن محمد معز الدولة: 484 هـ / 1091م

المرابطون يستولون على ألمرية

مملكة مرسيـــة

1- خيران العامري: 403-419هـ / 1012-1028م.

زهير العامري : 419-429هـ / 1028-1038م.

أبو بكر بن طاهر: 429-455هـ / 1038-1063م.

أبو عبد الرحمان بن طاهر: 455-471هـ / 1063-1078م.

(حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية وولده عبد الملك)

المعتمد بن عباد يستولي على مرسية

2- ابن عمار : 471-473هـ / 1078-1081م.

ابن رشيق: 473-484هـ / 1081- 1091م.

المرابطون يستولون على مرسية

مملكة دانية والجزائر

1- مجاهد العامري الموفق: 400-436هـ / 1009-1044م.

علي بن مجاهد إقبال الدولة: 436-468هـ / 1044-1076م.

2- المقتدر بن هود صاحب سرقسطة: 468-474هـ / 1076-1081م.

المنذر بن هود: 474-483هـ / 1081-1091م.

المرابطون يستولون على دانية

مملكة بلنســـية

الفتيان مظفر ومبارك: 400-408هـ / 1009-1017م.

لبيب العامري: 408-411هـ / 1017-1021م.

عبد العزيز المنصور: 411-452هـ / 1021-1061م.

عبد الملك بن عبد العزيز: 452-457هـ / 1061-1068م.

المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية

نائبه أبو بكر بن عبد العزيز: 457-478هـ / 1065-1085م.

عثمان بن أبي بكر: 478- ...هـ/ 1085-....م.

القادر بن ذي النون: 478-485هـ / 1085-1092م.

القاضي ابن جحّاف: 485-487هـ / 1092- 1094م.

السيد الكمبيادور والقشتاليون: 487-495هـ / 1093-1102م.

المرابطون يستولون على بلنسية

إمارة شنتمرية الشرق

هذيل بن عبد الملك بن رزين: 403-436هـ / 1012-1045م.

عبد الملك بن هذيل: 436-496هـ / 1046-1103م.

يحي حسام الدولة: 496-497هـ / 1103-1104م.

المرابطون يستولون على شنتمرية الشرق

إمارة ألبونت

عبد الله بن قاسم: 400-431هـ / 1009-1039م.

محمد بن عبد الله يمن الدولة: 431-434هـ / 1039-1042م.

أحمد بن محمد عز الدولة: 434-440هـ / 1042-1048م.

عبد الله بن محمد جناح الدولة: 440-495هـ / 1048-1102م.

المرابطون يستولون عى ألبونت

مملكة سرقسطة

1- المنذر بن يحي التجيبي : 408-414هـ / 1017-1023م.

يحي بن المنذر المظفر: 414-420هـ / 1023-1029م.

المنذر بن يحي معز الدولة: 420-430هـ / 1029-1039م.

2- سليمان بن هود المستعين: 431-438هـ / 1039-1046م.

أحمد بن سليمان المقتدر: 438-474هـ / 1046-1081م.

يوسف بن أحمد المؤتمن: 474-478هـ / 1081-1085م.

أحمد بن يوسف المستعين: 478-503هـ / 1085-1110م.

عبد الملك بن أحمد عماد الدولة: 503-...هـ/ 1110- ....م.

المرابطون يستولون على سرقسطة

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

أولا : المصادر

1- أبو عبد الله محمد الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق : إدارة إحياء التراث، الدار المصرية، مصر، ط1، 1966، (تاريخ الوفاة 488 هـ).

2- ابن الأبار : الحلّة السيراء، تحقيق : حسين مؤنس، دار المعارف، ط1، 1963، (ت 658 هـ).

3- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مج9، (ت 630 هـ).

4 - ابن بسام الشنتريني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط1، ج1، (ت 542 هـ).

5- ابن بلكين : كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق : الدكتور علي حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، (لا يعرف له تاريخ وفاة).

6- ابن حزم الأندلسي : رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، ج1، 1980، (ت 456 هـ).

7- ..... ، جمهرة أنساب العرب، تحقيق و تعليق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية، ط1، 1983.

8- ابن الحوقل : صورة الأرض، دار مكتبة، 1996، (ت 367 هـ).

9- ابن الخطيب : أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، (ت 776 هـ).

10- ..... ، تاريخ إسبانيا الإسلامية و كتاب أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

11- ..... ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مج2، ط1، القاهرة 1974.

12- ابن الكردبوس : تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات، الإسلامية، [د،ط]، مدريد، 1971، (ت 580 هـ).

13- ابن عذارى المراكشي : البيان المُغرب، تحقيق : ج،س كولان، دار الثقافة، بيروت، ط3، ج3، 1983، (ت 695 هـ).

14- الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1989، (ت 488 هـ).

15- الحميري : فقه جزيرة الأندلس، منتخبة الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق : ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، ط2، 1988، (ت 900 هـ).

16- عبد الله بن بلقين : مذكرات الأمير عبد الله، المسماة كتاب التبيان، تحقيق : ليفي بروفنسال، [د،ط]، دار المعارف المصرية، مصر، 1955.

17- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم و تحقيق : محمد زينهم و محمد عذب، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، القاهرة، 1994، (ت 647 هـ).

18- المقري : نفح الطيب، ج1.

19- المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، [د،ط]، بيروت، مج2، (ت 346 هـ).

20- مجهول : أخبار مجموعة في فتح الأندلس و ذكر أمرائها -رحمهم الله- و الحروب الواقعة بينهم، تحقيق و تقديم : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، ط1، 1981.

21- العذري ابن الدلائي : ترجيع الأخبار و تنويع الآثار و البستان في غرائب البلدان و المسالك إلى جميع الممالك، تحقيق : عبد العزيز الأهواني، (ت 478 هـ).

22- ياقوت الحموي : معجم البلدان، تحقيق : محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1906، ج5، (ت 622 هـ).

ثانيا : المراجع

1- إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، [د،ط]، 1998، بيروت، لبنان.

2- جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، [د،ط]، [د،ت]، ج2، لبنان.

3- حسين أحمد النوش : التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، ط1، 1992، بيروت، لبنان.

4- خالص صلاح : اشبيلية في القرن الخامس الهجري، دراسة تاريخية لنشوء دولة بني عباد و تطوراتها، دار الثقافة، 1965، بيروت، لبنان.

5- خليل إبراهيم السامرائي و آخرون : تاريخ العرب و حضارتهم في الأندلس، دار المدار الإسلامي، ط1، 2004، بيروت، لبنان.

6- سامية مصطفى سعد : العلاقات بين المغرب و الأندلس في عصر الخلافة الأموية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، 2000، القاهرة.

7- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و آثارهم في الأندلس.

8- عبد الحليم رجب محمد : العلاقات بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر بني أمية و ملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة.

9- عبد الرحمان علي الحجي : التاريخ الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار القلم، ط2، 1981، بيروت، لبنان.

10- عبد القادر ورقلاتي : الدولة الإسلامية في الأندلس من الميلاد إلى السقوط، دار الأطلس، ط1، 2006 الجزائر.

11- رينهارت دوزي : ملوك الطوائف و نظرات في تاريخ الإسلام، ترجمة كامل كيلاني، دار كلمات للنشر، ط1، 2012، القاهرة.

12- محمد عبد الله عنان : تراجم شرقية و أندلسية، مكتبة الخانجي، [د،ط]، مصر.

13- ..... ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني، دولة الطوائف من قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، ط4، 1994، القاهرة.

14- ..... ، مكتبة الخانجي، ط2، ج1، 1996، القاهرة.

15- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين.

ثالثا : المقالات

1- ابن عبدون : رسالة في القضاء و الحسبة، نشر ليفي بروفنسال ضمن الجريدة الآسيوية، أفريل – جوان 1934.

رابع : الرسائل و الأطروحات الجامعية

أولا : الأطروحات الجامعية :

1- إبراهيم بن عطيّة الله بن هلال السلمى : العدوة الأندلسية منذ عصر ملوك الطوائف إلى سقوطها في أيدي الإسبان، دراسة حضارية، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف : سعد بن عبد الله البشري، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، 1430هـ.

2- سعد عبد الله البشري : الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور : أحمد السيد دراج ، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1985-1986.

3- فلنتاين سليمان عفانة : ملوك اشبيلية زمن بني العباد و علاقاتهم الداخلية و الخارجية (414-484 هـ / 1023-1069م)، دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور : هشام أبو رميلة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2009، نابلس، لبنان.

ثانيا : الرسائل الجامعية :

1- خلفات مفتاح : صقالبة الأندلس، القرنين (3-5هـ/9-11م) دراسة سياسية اجتماعية ثقافية، أطروحة ماجستير، جامعة قسنطينة، 2000.

2- خميسي بولعراس : الحياة الاجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، (400-497 هـ / 1009-1086م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور : مسعود مزهودي، قسم التاريخ و الآثار، جامعة باتنة، (2006-2007).

3- فضل بو الصوف : العلاقات السياسية بين الأندلس الإسلامية و إسبانيا النصرانية في عصر ملوك الطوائف (ق. 5هـ-11م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور : عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ و علم الآثار، جامعة قسنطينة، (2010-2011).

فهرس الموضوعات

الفهـــــــــرس

العنـــوان	الصفحة
الإهداء :	-
شكر و تقدير :	-
مقدمة :	أ – ب – ج
الفصل التمهيدي : نهاية حكم بني أمية و بوادر قيام ممالك الطوائف.	**5-15**
أولا : الفتنة البربرية و سقوط الخلافة الأموية.	5-8
ثانيا : عوامل سقوط الخلافة الأموية بالأندلس.	8-10
ثالثا : أثر الفتنة على التطورات السياسية و الحضارية بالأندلس.	10-14
رابعا : زوال وحدة الأندلس و بوادر ظهور ممالك الطوائف.	14-15
الفصل الأول : ظهور ممالك الطوائف بالأندلس.	**17-38**
أولا : التركيب العرقي و الطبقي للمجتمع الأندلسي و دوره في ظهور ممالك الطوائف.	17
أ- العرب.	17-18
ب- البربر.	18-20
ج- الصقالبة.	20-21
د- المولّدون – *Los Muladus*	21-22
هـ- المستعربون – *Los Mozarabos*	22
و- اليهود.	23-24
ثانيا : أسباب قيام ممالك الطوائف.	24-26
ثالثا : التقسيم الإداري و السياسي لأهم الطوائف بالأندلس.	26
1- قرطبة و أهم دول الطوائف في الأندلس الغربية و الوسطى.	26
أ- دولة بني جهور في قرطبة.	26-27
ب- بنو الأفطس و مملكة بطليوس.	27-28
ج- مملكة بني ذي النون في طليطلة.	28-30
2- الدول البربرية في جنوب الأندلس.	30

أ- دولة بني مناد البربرية في غرناطة و مالقة.	31-30
ب- دولة بني برزال في قرمونة.	32-31
3- دول الفتيان الصقالبة في شرقي الأندلس.	32
أ- مملكة ألميرية.	33-32
ب- مملكة دانية و الجزائر.	34-33
رابعا : النظام السياسي و الإداري.	34
أ- الحياة السياسية.	36-34
ب- العلاقات الخارجية لدويلات الطوائف.	36
علاقات مملكة الثغر الأعلى بالممالك الاسبانية :	36
- علاقات مملكة الثغر الأعلى بالممالك الاسبانية.	37
- علاقة مملكة بلنسية بالممالك النصرانية.	38-37
- مملكة طليطلة و علاقاتها بالممالك النصرانية.	38
الفصل الثاني : اشبيلية و قيام مملكة بني عباد.	**54-40**
أولا : الجغرافيا التاريخية لمملكة اشبيلية.	40
1- الموقع الجغرافي.	40
2- الفتح الإسلامي لاشبيلية.	42-40
3- السكان.	43-42
ثانيا : الحياة السياسية في اشبيلية قبيل حكم بني عباد.	43
1- محاولات اشبيلية للانفصال عن قرطبة.	45-43
2- اشبيلية و الفتنة البربرية في قرطبة.	46-45
ثالثا : بنو عباد و قيام مملكتهم باشبيلية.	46
1- ظهور بني عباد في اشبيلية (أصلهم و قيادتهم).	46
أ- أصل بنو عباد.	46
ب- بداية ظهور بني عباد.	48-47
ج- دور بني عباد لإضفاء الشرعية على حكمهم.	48
د- تأسيس بني عباد لحكمهم في اشبيلية.	50-49
رابعا : ردود الفعل من قيام مملكة بني عباد في اشبيلية.	50

1- ردود الفعل الرسمية و الشعبية من قيام حكم بني عباد.	52-50
2- سياسة بني عباد في اشبيلية و الأندلس.	54-52
الفصل الثالث : السياسة الداخلية و الخارجية لمملكة بني عباد و انعكاساتها.	**67-56**
أولا : النظام السياسي و الإداري.	57-56
ثانيا : العلاقات الخارجية.	57
1- مع الممالك الإسلامية الكبرى.	57
أ- علاقة مملكة اشبيلية ببطليوس.	58-57
ب- علاقة مملكة اشبيلية بقرطبة.	59-58
ج- علاقة مملكة اشبيلية بالإمارات البربرية في غرب الأندلس.	60-59
د- علاقة مملكة اشبيلية بالإمارات البربرية في جنوب الأندلس.	60
2- علاقة بني عباد في اشبيلية مع الممالك النصرانية.	60
أ- العلاقات الحضارية.	62-61
ب- العلاقات السياسية و العسكرية.	65-62
ثالثا : نهاية حكم بني عباد في اشبيلية.	66-65
رابعا : أسباب ضعف و انهيار مملكة بني عباد في اشبيلية.	67-66
خاتمة	69
الملاحق	76-71
قائمة المصادر و المراجع	81-78
فهرس الموضوعات	85-83